أحمد بهجت

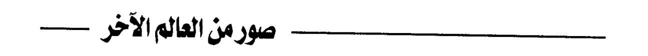
صور من العالم الآخر

مسرور و مقرور



ص ب ١٧٠٧ القاهرة
الرمز البريدى ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم



صور من العالم الآخر

إهداء

إلى صديقي في الله.

حسن درة

وإلى روح أحمد سلطان

ذكرى الأيام الطيبة التي قضيناها في الحج والعمرة ..

أحمد بهجت



مقدمة الطبعة الأولى

هذه ليست رواية .. إن الرواية تبدأ بالحياة وتنتهى بالموت ..

هذه اللا رواية تبدأ من الموت وتنتهى بالبعث وتستمر أحداثها حتى نقف وراء أبواب الجنة والنار ..

الأفضل أن نسميها لا رواية إذن ..

ثم إنها حقيقة .. ليست تخيلا ولا إبداعا كالأعمال الفنية ، لقد ولدت فى ذهنى بشكل ما بعد أن قرأت كتاب التوهم للمحاسبى .. كنت أقلد المحاسبى إذن .. وهو شيخ من شيوخ الصوفية وسيد من ساداتهم ..

أكاد ألمس فيما أقول تعلقا بملابس عاشق عبقرى ، وثمة ادعاء يتوارى - وإن ظهر - بأننى على مثاله أو طريقته ..

أعترف أننى أتشبث بثياب المحبين ..

لسنا مثلهم ، ولكننا أحببناهم لحبهم للحقيقة ..

وللعلم .. إن هذه اللا رواية ليست سوى الهيكل العظمى أو الخطوط الرئيسية لرواية لم تُكتب بعد .. وإن كنت أنوى كتابتها إن منح الله الجهد وشاء أن يكون فى العمر بقية ..

أحمد بهجت



مقدمة الطبعة الثانية

منذ سنوات ، وعلى امتداد شهر رمضان كتبت فى صندوق الدنيا ماسميته (لا رواية) .. وهى رواية تجرى أحداثها فى العالم الآخر .

كان اسم الرواية هو مسرور ومقرور .. أما مسرور فهو حاكم كافر ، وأما مقرور فهو إنسان مؤمن دفع حياته ثمناً لإيمانه ..

وقد وصلت بالقصة إلى وقوفهما على بابى الجنة والنار .

وموضوع رحلة الإنسان إلى العالم الآخر هو موضوع طرقه المفكرون والأدباء والشعراء فى مختلف الثقافات .

لقد عولج فى الأدب اليونانى القديم .. كما عولج فى الأدب الإسلامى ولا سيما مع أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران كما طرق دانتى هذا الموضوع فى الكوميديا الإلهية .

وقد رجعت فيما كتبت إلى تفاسير القرآن الكريم ، وإلى ثلاثة كتب فى الموضوع نفسه .

كتاب التوهم للحارث المحاسبى وكتاب مشاهد القيامة فى القرآن ، والتصوير الفنى فى القرآن ، لسيد قطب .

ويأتى كتاب التوهم للمحاسبى كمحاولة تنطوى على إبداع وابتكار وأصالة ، حيث ينطلق الكاتب من منطلق إسلامى كما يقول د. محمد عثمان الخشت وهو لايكتفى بما ورد فى الكتاب والسنة من أخبار فى الخوف والرجاء ، بل يستخدم خياله فى بيان المراحل التى يمر بها الإنسان منذ موته حتى دخوله الجنة أو النار .

وقد ولد الحارث بن أسد المحاسبى فى الثلث الأخير من القرن الثانى الهجرى ، أى منذ أكثر من ١٢ قرنا من الزمان .

وقد تكررت التجربة فى عصرنا حين عالج سيد قطب الموضوع نفسه فى كتابين ، وكان الفرق بين كتاب التوهم وكتاب مشاهد القيامة فى القرآن هو الفرق بين عصر المحاسبى وعصر سيد قطب . ولغة المحاسبى القديمة ولغة سيد قطب برشاقتها ومسحتها الأدبية موضوعنا هذا العام إن شاء الله وهو "صور من العالم الآخر" ، وهو موضوع يحتاج إلى خيال يكتشف دائما أن الحقيقة أكبر من أى خيال .

أحمد بهجت

قصة مسرور ومقرور

فى قديم الزمان، وحاضر العصر والأوان، عاش رجلان مختلفان.. كان اسم أحدهما "مسرور" والثانى اسمه "مقرور" ومثلما يقع فى الحياة أن يكون للناس من أسمائهم نصيب.. كان لمسرور نصيب، ولمقرور نصيب..

أما مسرور فكان أغنى رجل فى المدينة.. وأقوى رجل فى المملكة.. ولم يكن غناه يشبه غنى قارون.. كان أقل منه بمقدار مفتاح أو مفتاحين.. كانت كنوز قارون توضع فى صناديق وغرف لها مفاتيح وكانت مفاتيح كنوز قارون لا يستطيع حملها إلا عصبة من الرجال.. سبعة رجال مثلا أو ثمانية..

كانت مفاتيح كنوز مسرور يحملها ستة رجال فقط.. أما مقرور فكان فقيرا لايملك مفتاحا لباب كوخه الخشبى الذى ورثه عن جده، وكان يكتفى فى ليالى الشتاء بأن يضع قطعة من الحجر وراء الباب لتسنده.

وقد بدأت أحداث قصتنا ذات ليلة شتائية عاصفة.. وقد دأب كثير من الكتاب على أن يكتبوا فى بداية رواياتهم أن أسماء الأبطال والأحداث التى سيقرؤونها لم تقع إلا فى خيال المؤلف، وأن

أى تشابه بينها وبين أسماء الأحياء هو تشابه غير مقصود.. ماذا نكتب نحن فى بداية قصتنا؟

سنقول إن أسماء الأبطال خيالية.. وإن أحداث القصة حقيقية وإن هذه الأحداث لم تقع بعد ولكنها وقعت بالتأكيد أو ستقع بالتأكيد..

وهذا كله محير جدا.. رغم أنه حقيقة..

أين كنا..؟

ليلة شتائية عاصفة..

انحدرت السحب الملبدة فحجبت نور القمر الشاحب.. وهبت الرياح بعنف وهى تعول فى صفير يدفع الشؤم لأقسى القلوب.. وانفتح باب مقرور الخشبى بعد أن نجحت الرياح فى زحزحة قطعة الحجر التى وضعها لتسنده.

اندفعت الرياح فى الكوخ فأطفأت الذبالة التى كان يوقدها مقرور، وجلدت عظامه فارتعش.. ومن ثم نهض مسرعا من تحت فروة الخروف التى كان يغطى نفسه بها، وأسرع نحو الباب وأعاد إغلاقه ووضع قطعة الحجر وراءه.. وأسندها بقدمه العارية قليلا وانتظر حتى هدأت الرياح وعاد يرتعش إلى فراشه ..

نفس الوقت

جلس مسرور أمام مائدة العشاء فى قصره.

جدران القصر من حجر الجرانيت اللامع المصقول، وأرضه من المرمر الفضى الشاحب، وسجاجيد العجم تتناثر على الأرض كيفما اتفق.. وبإهمال يكشف عن ذوق مترف..

أما مائدة العشاء فكانت من حجر الجاد الكريم، أما أقدام المائدة فقد صنعت من الذهب الخالص.

كانت الأطباق من الذهب، أما الكؤوس فمن زجاج نادر أغلى من الذهب، وكان مسرور يجلس فى صدر المائدة على كرسى ذهب ألقى عليه فراء ثعلب ضخم..

كان وجه الثعلب طويلا "ببوزه " الممدود، وكان الفراء يبعث بمجرد وجوده على الدفء..

انحنت الجارية وصبت لمسرور كأسا من النبيذ.. كان النبيذ جيدا توحى رائحته بحقل كامل من العنب..

ودارت رأس مسرور فالتقط قطعة من لحم الطاووس المشوى وراح يمضغها على مهل..

كان يفكر فى لاشىء.

وراحت الرياح تصفر حول قصره ولكن الرخام المصقول كان يتأمل الرياح بنظراته الجليدية غير العابئة.

قال مسرور وهو يتأمل ميل الأشجار فى حديقة قصره من خلال نافذته الكريستال :

ـ يبدو أن شياطين الرياح قد أطلقت من عقالها.. قال كلمته وضحك..

واهتز المدعوون إلى مائدته بالضحك مجاملة له.. وعاد مسرور إلى سهومه وابتلع جرعة أخرى من نبيذ فى لون الورد فأحس أن رأسه يثقل.

رفع رأسه وسأل الحاضرين:

ـ هل تعرفون كم أنا غنى؟

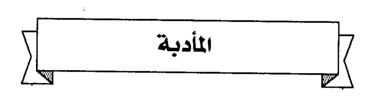
تطلعوا إليه بعيون مستخذية يوشيها التلهف:

ـ لانعرف.. حدثنا أيها السيد العظيم.

قال: إن كل ثانية تمر.. ومع كل حبة رمل تسقط من الساعة الرملية.. تزيد ثروتى مائة جنيه من الذهب..

شهقوا من الدهشة..

وعاد الباب ينفتح فى كوخ مقرور.



مد مسرور يده ووضع كأس النبيذ.

كـان يعـرف أن الخطيـئـة التي تملك نشـر الذهب وهي تمضي في طريقها تستطيع أن تبلغ هدفها آمنة مطمئنة ، بل إنها ستجد في النهاية من يطلق عليها أوصاف الفضيلة، وربما وجدت من يلبسها تاج الشرف.

كـان مسـرور يعـرف هذا كله، وبالتـالي فلم يكن لديه مـا يقلقـه، على العكس، كان يحس بلون من ألوان الكبرياء العميق..

لم يكن منبع كـبريائه أنه غني، أو أنـه يكسب مع كل ثانيـة تمر مائة جنيه من الذهب، وبالتالي تزيد ثروته كل يوم ثمانية ملايين من الجنيهات الذهب، لم يكن هذا سر كبريائه..

كان عقله هو سر كبريائه وسر سعادته وشقائه معا.. كان يحس أن ثروته مخبوءة في مكان ما في عقله، ولقد صرح في أكثر من مناسبة أنه أوتي ماله بسبب علم خاص عنده.. هذه المقدرة الخارقة على تشـميـر المال وتكثيـره كـانت قناعتـه وإيمـانه، كـان مـؤمنا بنفسه.. وكان يحسب كم يكسب في اليوم وفي الشهر وفي العام، ولكنه ـ من فرط ثرائه ـ لم يكن يعرف قدر ماله الأصلي، وكـان

فشله فى حساب رأس ماله الأصلى يجعله يحس بالعجز وانحصار مملكته، كان يندب حظه إذا خلا بنفسه، وكان يحلو له ساخرا أن يحدث نفسه عن فقره، كان يرى أن الغنى هو الذى يستطيع أن يحسب ثروته، أما الفقير فهو واحد من اثنين :

إما رجل لا مال لديه، وهذا غبى يستحق الحرق .. أو رجل أرباح ماله أكبر من قدرته على الحساب، وهذا بائس يستحق المواساة.. وكان يعتبر نفسه بائسا يستحق الشفقة.. لم يكن يفصح عن هذه الحقيقة لأحد، إنما احتفظ بها سرا ودفنه فى قلبه، ورتب عليها نتيجة بدت له منطقية تماما.

مادام هو يستحق الشفقة، فإنه لم يكن مستعدا لأن يواسى أحدا فى المقابل، إن شفقة القلب أو الحنان يمكن أن تدفع الإنسان لإعطاء قرش لفقير، هذا القرش هو بداية الثغرة فى أى ثروة، لأن بلايين الجنيهات ليست إلا قروشا قد تراكمت ، فإذا فرطت فى قرش واحد منها انقطع خيط العقد وسقطت حباته وتناثرت.. وهذه بداية النهاية لضياع أى ثروة .

ينبغى أن يوضع كل قرش فى مكانه ..

لقد دفع مسرور من قبل ثمانية ملايين من الجنيهات الذهب لشراء مسحوق أضيف إلى نبيذ الملك فمات وهو نائم ، وحملته ملايينه إلى العرش ملكا بلا عقل ..

حـــوار

خرج مسرور من ذاته وراح يتأمل ضيوفه .

كـان يسـتـضـيف الوزير الأول ، وقـاضى القـضـاة، وكـبـيـر البـصـاصـين، ورئيس العـسس .. ولاحظ مـسـرور أنهم يتـحـاورون حوارا ساخنا فأنصت لهم ..

قال الوزير الأول : هل قال إننا حين نموت ونستحيل إلى تراب سنعود فنستيقظ من الموت ونقف أمام الله ونحاسب ؟

قال قاضى القضاة : نعم ..

تدخل مسرور فى الحوار وقد اخترق وجدانه خوف غامض.. سأل مسرور قاضى القضاة : من الذى قال هذا ؟

قال قاضى القضاة : مقرور..

سأل مسرور : أى شىء هذا؟

قال رئيس العسس: هذا رجل فقير يعيش فى كوخ عند أطراف المدينة !

سأل مسرور .. قال إن هذا كلامه ؟..

رد كبير البصاصين : لا .. قال إنه سمع هذا الكلام من نبى فى الشرق .

قال مسرور نبى فى الشرق .. أى نبى هذا ؟

قال كبير القضاة : لم يقل أى نبى ..

ضحك مسرور ساخرا وقال: هذا رجل مجنون، إنه يتصور أن أجساد الناس ليست من تراب وإنما من ذهب، من الذى يعبأ بإعادة استخراج تراب الناس من باطن الأرض، هل هم ذهب؟

ضحك كبير البصاصين ورئيس العسس والوزير الأول، وابتسم قاضى القضاة وقال كالمعتذر:

- من يدرى.. لعل مايقوله الرجل صحيح..

قال مسرور: هل تصدق أنت أننا إذا كنا عظاما وترابا يتطاير فى الهواء، هل تصدق أننا سنبعث؟

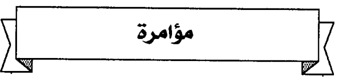
قال قاضى القضاة : من يدرى..

قال مسرور: أنت لا تصلح أن تكون قاضيا للقضاة..

توقفت حركة الضيوف وساد وجوم موحش.. كان واضحا أن قاضى القضاة قد عزل من منصبه بهذه الكلمة الغاضبة..

جمدت يد قاضى القضاة باللقمة التى كانت فى طريقها لفمه.. أعاد يده ووضع الطعام فى طبقه وظل صامتا يرتعش.. ثم استجمع أطراف نفسه وقال :

- سيدى مسرورأنا لم أقل إننى أصدقه .. قلت فقط من يدرى.. لم أكمل كلامى بعد.. كنت أريد أن أقول من يدرى لعله كاذب.. لقد أضاء سؤالك القضية فى عقلى.. هو رجل مجنون بالقطع .. من يدرى .. لعله محموم أو مريض ..



مؤامرة

هدأت الأعصاب قليلا بعد أن تراجع قاضى القضاة عن موقفه وعاد إليه حرصه، وراح الضيوف يتبارون فى السخرية من فكرة البعث أساسا.

وتناول قاضى القضاة كأسه ورفعها إلى فمه، حاول جاهدا ألا ترتعش يده وهى تحمل الكأس ولكنه لم ينجح.

واستمع مسرور إلى الحوار الذى كان يسخر أساسا من فكرة القيامة والحساب والبعث، وأحس مسرور باحتقار بالغ لما يجرى قال: أيها السادة، أنتم تتحدثون كالصبية.. ماذا فعلتم لدفع الخطر.

سأل الوزير الأول: أى خطر؟

تجاهل مسرور سؤال الوزير وتوجه بنظراته إلى كبير البصاصين..

وسأله: ماذا قال الرجل؟ قال كبير البصاصين: قال: إننا سنقوم من الموت ونقف للحساب أمام إله واحد، ابتسم مسرور وقال: هذا يعنى أن الرجل ينكر آلهتنا.. وهذا يعنى أن هناك مؤامرة واضحة.

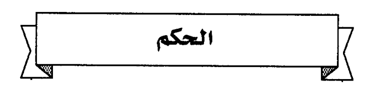
تراجع الجالسون إلى الوراء قليلا فى مقاعدهم وسقط عليهم قول مسرور كالصاعقة..

كان أسرعهم إلى الحركة هو رئيس العسس.. قال: وهو يفكر ـ خطر لى هذا ياسيدى.. وقد راقبنا "مقرور" أياما متواصلة فلم نره يتصل بأحد، ولا نما إلى علمنا أن أحدا يتصل به.. ورغم ذلك.. فإننا لم نزل نراقبه.

إن الرجل يسكن فى كوخ له باب أضعف من أن يصد الرياح.. ومن ثم فإن الباب مفتوح طوال الوقت.. ونحن نراقبه من خلال الباب المفتوح.. المشكلة التى صادفتنا، أو بمعنى أصح.. المشكلة التى فجرتها هذه القضية فى عقلى أنه ليس لدينا نحن العسس قدرة لمعرفة أفكار الناس، وبالتالى فإننا لانعرف كيف يفكر مقرور.. ولن نخسر شيئا لو انتظرنا.. قال مسرور: آه، أنتم تريدون الانتظار حتى يشعل مقرور النار فى نظام المملكة.. وهو النظام الذى اختاركم لتكونوا كلابا لحراسته.. وهو النظام الذى يطعمكم ويأويكم ويمنحكم سلطات هائلة من أجل حمايته..

أراكم تنتظرون حتى يتحرك مقرور، بعدها تتحركون أنتم.. هذا يعنى أن حركتكم قد صارت تابعة لحركته ..

وهذا خطأ بالغ إن لم يكن تقاعسا كاملا .. المفروض أن تكون الحركة فى أيديكم أنتم .. وكذلك المبادأة ..



صمت الحاضرون جميعا حتى انتهى مسرور من كلامه.. ثم توالت اقتراحات الجالسين لعلاج القضية..

قال الوزير الأول: فهمت .. إن هناك مؤامرة إذن ..

قال رئيس العسس: الرأى أن نسجن "مقرور".

قال كبير البصاصين: التهمة واضحة.. إشعال النار فى نظام المملكة ، واحتقار الآلهة وازدراؤها..

قال قاضى القضاة: القضية جاهزة للحكم، هذه تهم عقوبتها الإعدام حرقا.

ضحك مسرور فسرى إلى الجالسين إحساس بمرور الأزمة، ولكن (مسرور) ضرب إحساسهم بالراحة حين عاد يقول:

مازلتم تتحدثون كالصبية.. مؤامرة وتهمة وقضية وحكم.. إننا نلفت الأنظار إلى أهمية الرجل، ونجعل منه شهيدا دون داع ولا مبرر.

الرأى السليم أن يموت هذا الرجل بحادث مؤسف.. ينام نوما ثقيلا بعد أن يشرب كأسا من الماء، ثم ينفتح باب كوخه بسبب الرياح فيقع المشعل ويحترق الكوخ.. ويحترق معه مقرور.. ويتم

هذا كله بهدوء.. ودون ضجة.. وبغير إعلان وسوف يسجل العسس أن الرجل أهمل إغلاق بابه وكان إهماله سببا فى موته..

أحنى الجميع رؤوسهم موافقين.. وأشار مسرور إلى الجارية التى تصب النبيذ أن تصب للضيوف كأسا جديدة.. وشرب الحاضرون نبيذا فى لون النار.. وبدأ سباق هادىء بين الضيوف فى نفاق مضيفهم.

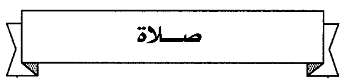
قال الوزير الأول: لولاك لغرقت المملكة..

قال كبير البصاصين: ماذا كنا نفعل بدونك أنت ملهمنا دائما.

قال رئيس العسس: لقد تلقيت الليلة درسا فى مهنتى لا أظن أن تجارب العمر الطويل فيها قد لقنتنى مثله.

ووجد قاضى القضاة نفسه وقد جاء دوره.. فتنحنح قليلا ثم قال بصوت معتذر: هذه أسرع قضية حكم فيها بالعدل.. لقد صدر الأمر بإعدام مقرور قبل أن ننتهى من العشاء.. لطالما شكا العدل من البطء. اليوم يسبق العدل السرعة..

وهذا إنجاز فى حدا ذاته.



صــلاة

نهض مقرور من نومه وهو يرتعش.. كان باب الكوخ مفتوحا فاتجه نحوه لإغلاقه. فوجىء بكلب أصفر اللون عسلى العينين يربض عند مدخل الكوخ.. هز الكلب ذيله حين شاهد "مقرور"..
قال مقرور فى نفسه :

سبحان الله.. هذا ضيف أرسله الله تعالى إلينا.. فتش بعينيه فى زوايا الكوخ عن طعام فلم يجد غير إناء يمتلىء قاعه باللبن.. ووضع الإناء أمام الكلب فنظر إليه الكلب بعينين شاكرتين وهو يهز ذيله، ثم وضع بوزه فى اللبن وراح يلعقه..

ترك مقرور الكلب يستكمل طعامه ودخل الكوخ.. غسل وجهه ويديه وقدميه وانخرط فى صلاة عميقة.

قال مقرور لله وهو مستغرق فى صلاته:

اللهم اغفر لى تقصيرى فى عبادتك، واغفر لى فقرى وقلة إحسانى للخلق، وسامحنى فى حياتى القديمة، وارحمنى برحمتك يوم الوقوف بين يديك..

شفت روحه وصفت وهو يصلى..

وانحدرت دمعة من عينه فشقت مجراها فى أخدود صنعته

الدموع فى وجهه.

واستنشق مقرور رائحة غريبة لا عهد له بها.. رائحة عطر يشبه روح الريحان، ولكنه ليس الريحان الذى يعرفه هو فى الأرض.. وخيل إلى مقرور أنه ليس وحده فى الكوخ..

وخيل إليه أن هناك وجودا ما لكائن غريب..

أراد مقرور أن يلتفت ولكنه كان يصلى فخشى أن يفعل.

وفاض قلبه بشعور من الرضا المستطاب فى الله.. تذكر أخطاءه الماضية أيام كان قاطعا للطريق، وتذكر توبته لله وإخلاصه له حين قابل هذا النبى الكريم أثناء رحلته فى الشرق.

وقال لنفسه:

من يدرى .. لعل الله لم يقبل توبتى، ولعلى من الهالكين.. زاد بكاؤه وخر ساجدا.

رفع الكلب رأسه من إناء اللبن وراح يهز ذيله ويستمع لبكاء مقرور.

ووصل رئيس العسس وكبير البصاصين وشرذمة من الجنود.. وراحوا يتأملون "مقرور" وهو ساجد يبكى من خلال الباب المفتوح.



قبض

أشار كبير البصاصين إلى مقرور وهمس لرئيس العسس : ها قد ضبطناه متلبسا بالسجود لغير آلهتنا.. لماذا لا نقتله ونستريح.. ألم تكن هذه أوامر السيد الأعظم فى المأدبة.. ألم يحكم عليه بقتل يبدو حادثا مؤسفا.

قال رئيس العسس وهو يخافت من صوته: لقد غير السيد الأعظم رأيه، استدعانى فى الصباح التالى للمأدبة وأمرنى باستحضار مقرورللقائه..

قال كبير البصاصين: أتراه لا يثق فينا.. أيريد أن يقتله هو بنفسه؟.. قال رئيس العسس: عقلك دائم الشك.. لماذا تظن ذلك؟

قال كبير البصاصين: هذه مهنتى.. ماذا ترى أنت؟

قال رئيس العسس: أظن أن السيد الأعظم يريد أن يلهو قليلا به قبل قتله، ألم تر قطة وهى تلتهم فأرا.. هل تأكله على الفور أم تلعب به ساعات طويلة؟

همس كبير البصاصين: يريد أن يلهو به إذن.. قلبى يحدثنى أن وراء الأمر كله شرا مستطيرا.. هاهو ساجد لا حول له ولا قوة.. لو قتلناه لانتهى الأمر..

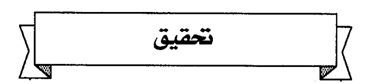
قال رئيس العسس بحزم هامس: الأوامر التى لدينا هى ضبطه وإحضاره.. نحن مأمورون فى نهاية الأمر.. هل تقبض عليه أنت أم تترك لى هذه المهمة؟

قال كبير البصاصين: لا.. القبض مهمتك أنت.. أما استخراج الحقيقة فمهمتى أنا، لن أتدخل فى مهمتك فلا تتدخل فى مهمتى.. دعه لى إن لدى ألوانا من العذاب تجعل الحجر يعترف بكل شىء .. كان مسرور يجلس فى إيوانه للحكم بين الناس حين دخل الحارس وأعلن عن وصول المتهم.

أمر مسرور بإخلاء الإيوان فخرج الجميع باستثناء الوزير الأول وقاضى القضاة والجلاد.. بعد قليل دخل كبير البصاصين ورئيس العسس وهما يمسكان "مقرور" ويحاولان معاونته على السير فى سلاسله الحديدية

تأمل مسرور "مقرور"..كان مقرور يرتدى ثوبا قد اهترأ فى كثير من مواضعه حتى ظهر لحمه من تحته، وكان حافيا قد اغبرت قدماه من تراب الطريق.. وكان وجهه شاحبا ومطمئنا فى نفس الوقت.. وكانت عيناه الصافيتان العميقتان تعكسان فى أعماقهما دهشة بالغة..

تأمل مقرور الجدران التى صنعت من خشب الصندل المنقوش بالذهب وزادت دهشته.



تحقيق

تأمل مسرور سجينه وضحيته

وتأمل مقرور الكرسى الذهب الذى يجلس عليه خصمه وقاضيه السيد الأعظم..

وطغى على مسرور إحساس بالكراهية والازدراء، بينما جاشت نفس مقرور بالدهشة من الثراء الذى يراه.

كانت مشكلة مقرور أنه يقف أمام السيد الأعظم حافيا.. وكان يحس أن دخوله عليه حافيا فيه مافيه من سوء الأدب، كان المفروض أن يخلع نعله على باب السيد حتى لايلوث السجاجيد الثمينة التى وضعت على الأرض، وكان مقرور آسفا لأنه لايملك نعلا، لقد أدركه الفقر بعد توبته فلم يعد يملك نعلا.. وكان يحس أن السيد الأعظم سوف يسأله أين نعله ؟ هل يقول للملك إنه لايملك نعلا أم يصمت ؟

صدق حدسه.. تكلم مسرور فقال لمقرور مؤنبا: أين نعلك؟

قال مقرور: تركته عند باب كهف فى جبل شرقى مصر.. ذاب النعل من يومها، ومن يومها لم أستطع أن أحصل على نعل آخر..

قال مسرور: أنت متهم وأظن أنك لاتجهل تهمتك ..

فكر مقرور سريعا فى التهمة..

كانت حياته فى الأعوام العشرة الأخيرة تخلو من أى عمل خارج على القانون .. أو على الشرف.. لقد تاب منذ عشر سنوات.. أيكون السيد الأعظم يتحدث عن الأيام القديمه الشقية ..

أخرجه من أفكاره صوت الوزير الأول وهو ينتهره .

ـ تكلم أيها الكلب .. الأفضل لك أن تعترف اعترافا كاملا ..

قال مقرور : تريدون اعترافا كاملا ؟

قال مسرور : نعم ..

قال مقرور: ساعترف للسيد الأعظم بكل شىء .. لقد كنت قاطعا للطريق .. لصا يعيش على الخمر والسرقة.. وكنت أرفل فى الحرير والديباج، وكانت النساء يترامين على ، ثم هجرت هذا كله.. أعترف أننى مذنب، لكن هذا كان منذ عشر سنوات كاملة.

قال مسرور معترضا: لست أسألك عن قصة حياتك .

قال مقرور: عن أى شىء يسأل السيد الأعظم؟

قال مسرور: أسألك عن جريمتك الأخرى.. إن السرقة واعتراض الطريق لاتهمنا.. حدثنا عن جريمتك الأخرى ..

فكر مقرور طويلا فلم يجد شيئا فقال لمسرور:

ـ هذا كل ما عندى يامولاى .



أشار مسرور بعينه إلى الجلاد فرفع الجلاد سوطه وهوى به على ظهر مقرور، صفر السوط وهو يخترق الهواء، ثم هوى على ملابسه فمزقها وترك خيطا رفيعا من الدم على ظهره.. فوجىء مقرور بنباح الألم فى جسده، ولكنه تماسك وقال لنفسه:

ـ من يدرى.. لعل الله يكفر بهذا الضرب عن سيئاتى القديمة.

مال كبير البصاصين على مسرور وهمس فى أذنه شيئا.. فأشار مسرور إلى الجلاد أن يكف.. التفت كبير البصاصين إلى مقرور وسأله:

ـ السيد الأعظم لايسألك عن حياتك السابقة.. هذا شأن لا يعنيه.. إنما يسألك عن جريمتك الآن.. لا تراوغ إذا أردت أن تنجو .. ألا تريد أن تنجو..

قال مقرور: أريد أن أنجو.. إن جرائمى كثيرة فعن أى جريمة تسألون ؟

قال مسرور: أهم جرائمك.. ماهى أهم جرائمك ؟

قال مقرور: تقصيرى مع الله.. لقد عشت عمرا كاملا عبدا هاربا من الله ، ثم عدت إليه منذ عشر سنوات.. مايدرينى أنه قبل

توبتى ؟ سوف أعرف إذا بعثت من الموت ووقفت أمام الله هل قبل الله توبتى أما لا ؟.. لكن هذه المعرفة عندئذ لن تجدى إذا كان الحق لم يقبل .. هذه ياسيدى هى جرائمى ومخاوفى معا ..

قال مسرور : أنت تعترف أن هناك إلها غير آلهتنا .. وتقول : إننا سنصحو من الموت .. ألم تقل ذلك ؟

قال مقرور : نعم ..

قال مسرور : بعد أن نتحول إلى تراب يتطاير فى الهواء ويتبدد مع الريح ؟

ابتسم مقرور وهو يقول: ألا يعرف سيدى أن الله قادر على بعث الموتى.. لقد كنا أمواتا فأحيانا الله ، ثم يميتنا ثم يحيينا.. هل يشك سيدى فى هذا كله؟ أين كان السيد الأعظم قبل أن يشرف الدنيا ؟.. ألم يكن ميتا وأحياه الله ؟

قاطعه مسرور : اصمت.. التهمة ثابتة .. بماذا يحكم قاضى القضاة ؟

قال قاضى القضاة دون أن يفكر: المتهم برىء .. ما قاله النبى صحيح.

قال مسرور : لقد جن قاضى القضاة .. احرقوهما معا .. أو انتظروا ..

سيق مقرور إلى السجن ، أما قاضى القضاة فقد أجبروه على شرب كأس قبل أن يغادر الإيوان، فغادر المكان محمولا على الأعناق .. وقيل : إن قاضى القضاة قد أحس بألم ثم سقط ميتا .. وأرسل السيد الأعظم رسولا خاصا من القصر لتقديم العزاء لأهل القاضى ، وتم تعيين قاض جديد فى المكان الشاغر .. وأسدل الستار على القضية برمتها ..

جلس مقرور فى سجنه راضيا كل الرضا :

لم يكن يصدق أنهم سيحرقونه، سأل حارسه أكثر من مرة :

ـ هل أنت واثق أننى سأحرق ..؟

قال الحارس : ليس لدى أوامر أن أرد عليك.. إننى حارسك فقط، ولست صديقا بجاذبك أطراف الحديث ..

ومكث مقرور فى السجن فترة .

كان حائرا تتعاقب عليه لحظات من السعادة والحزن.. كان يحدث نفسه أنهم لو أحرقوه حقا لكان معنى هذا أن الله قبل توبته وعفا عنه واختاره ليموت فى سبيله، وهذا يعنى أن توبته قد قبلت لكن ماذا يكون الأمر لو أنهم كانوا يهددونه فحسب، ولن يقتلوه ..

إن هذا يعنى أن توبتـه لازالت فى الميـزان لم ترجح بهـا كـفـة القبول.. لبث مقرور معذبا ثلاثة أيام.

كان يطيل الصلاة ويسأل الله أن يريه علامة أو بشارة يطمئن بها لقبوله..

وفى الليلة الثالثة شاهد مقرور رؤيا عجيبة..

شاهد نفسه يسير فى مكان وفير الخضرة يمتلىء بالأشجار والثمار والجداول، وكانت أرض المكان من مسك، وكانت أقدامه تسوخ فى المسك فتتصاعد رائحة عطر مدهش.. وظل يسير ثم ظهرت له امرأة تشبه زوجته الأولى التى هجرها أيام الشقاوة.. وتقدمته المرأة حتى وصلا إلى سفح ربوة مخضرة..

فى قمة الربوة كان هناك قصر عجيب.. قصر أفضل من بيت السيد الأعظم مسرور..

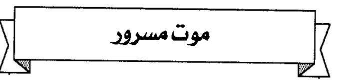
أشارت المرأة إلى القصر وقالت: متى تجىء إلينا..

سألها: من أنت؟

ولكنها قبل أن تجيبه اختفت واستيقظ من الرؤيا.. حدث حارسه فى الصباح عما رآه فقال الحارس:

ـ المؤكد أنك ستموت اليوم.

لم يكن مقرور ليهتم.. كان طعم الرؤيا فى فمه يغلب كل مذاق سواه.



موت مسرور

فرغ مسرور من عشائه وسخن رأسه من فرط الشراب فصحب قارورة الخمر إلى غرفة نومه وأشار إلى إحدى الجوارى أن تسبقه ففعلت .. كان يدخل من باب الغرفة حين أحس بالدوار فجأة، طنت رأسه وتراخت أعصابه فسقطت زجاجة الخمر من يده إلى الأرض وتحطمت .. واستند إلى الباب ولكنه أحس ألما رهيبا فى كتفه، وجرى الألم من كتفه إلى يده إلى صدره ، والتف الوجع حول صدره كحزام من الذهب المحمى فى النار .. سقط على الأرض فصرخت الجارية.. وامتلأت الغرفة بالجوارى والحرس، وتعاون الجميع على حمله إلى فراشه .

ووصل أمهر أطباء المملكة والتفوا حول فراشه .

كان وجه السيد الأعظم محتقنا يميل لونه إلى الأخضر الذى توشيه الصفرة.. وكان يتنفس بشخير عال كأن أحدا يذبحه ببطء..

قال كبير الأطباء : السيد الأعظم غائب عن الوعى .. وهذه علامة سيئة ..

فى الحقيقة لم يكن السيد الأعظم غائب الوعى.. كل ما هنالك أن وعيه كان فى مكان آخر، لم يكد يدخل غرفته حتى أحس

بوجود زائر غريب فيها ، زائر بلا ملامح ، ولكن شيئا فى ملامحه كان يحمل ويلا وويلا.

سأل مسرور : من أنت ؟

قال الزائر: جئت أسقيك كأسا فدع زجاجة الخمر من يدك .

لم يكن أحد من البشر يستطيع أن يسمع الحوار ، إنما شاهدوا فحسب زجاجة الخمر وهى تسقط من يده .

قدم الزائر الغامض كأسا إلى مسرور .. تساءل المحتضر دون أن يسمعه أحد : أى شىء تحويه هذه الكأس ؟

قال الزائر: ألم تفهم بعد .. هذه كأس الموت .. لم يعد لك على الأرض غير ثوان قليلة .. هى بمقدار ماتشرب هذه .

قال مسرور منهارا : لا أريد أن أموت .. ليس الآن .. أتوسل إليك .. خذ كل ثروتى مقابل شهر واحد .. أسبوع واحد .. يوم واحد ..

كشف ملك الموت عن وجهه فدخل مسرور فى غمرات الموت.. كان يشرب كأسا مريرة، وأحس أن روحه تنسحب من قدميه مثلما يسحب المرء شجرة من الشوك انغرست فى كومة من الصوف .. وبدأ ملك الموت يضرب وجه مسرور ..

فى الضربة الثانية كانت الروح تقاوم أمام آخر الأبواب وهى تتلجلج فى فم السيد الأعظم .

موت مقرور

حين كان مسرور يعاين سكرات الموت ، كان مقرور يقيد فى عمود خشبى أعد فى محرقة أشعلت لإعدامه .

فى البداية أحس مقرور بالخوف وهو يوشك أن يدخل النار ، ثم فوجىء بوجود كائن غامض فى قلب النار .

قال له الكائن : لاتخش شيئا .. تقدم مرة واحدة .. لن تحس بالألم .. لن تموت من النار ..

سأل مقرور دون أن يفتح فمه : من أنت ؟

قال الكائن : جئت أبشرك ..

قال مقرور" تبشرنى بماذا ؟.. أتكون أنت ملك الموت .

قال الكائن : نعم ..

قال مقرور : إذا كنت سأموت حرقا بالنار .. فهذا يعنى أن الله قبل توبتى .

قال الملك : لن تموت حرقا بالنار .. إن أجلك ينتهى قبل أن تصل إليك النار.

قال مقرور محزونا : كنت أريد أن أموت حرقا فى سبيل الله..

قال الملك: لا تبتئس.. مرحبا بك فى العالم الآخر.

انكشفت بصيرة مقرور فجأة ، وعادت حواسه تستقبل عبق الريحان ، وأضاء وجه الملك وتهاوى جسد مقرور ميتا وراحت روحه تتأمل جمال وجه الملك الكريم ..

صاح جلاد المحرقة وهو يخاطب آمر السجن : لقد مات المحكوم عليه ياسيدى .. هل نحرقه ؟

قال آمر السجن: اسكب على وجهه قليلا من الماء ليفيق من خوفه، وأحرقه بعد ذلك، ثم ادفنه فى مقبرة السجن.

نفس اللحظة ، انتهى ملك الموت من انتزاع روح مسرور، همدت حركة الجسد وأعولت إحدى الجوارى فأمر الوزير الأول بطردها من الغرفة وصرف جميع الحاضرين واستبقى كبير البصاصين ورئيس العسس، فلما خلت الغرفة من غيرهم قال الوزير الأول :

ـ سيقولون إن السيد الأعظم قد مات، وهذا كذب ، الصحيح أنه خرج وسيرجع بعد فترة، عليكما الآن بدفن جثته سرا فى مقبرة السجن ، وليبق قبره المرمرى خاليا ليعرف الناس أنه لم يمت .. وفى جوف الليل، حمل كبير البصاصين ورئيس العسس جثة السيد الأعظم فى سرية تامة ووضعاها فى مقبرة السجن حيث وضعت جثة مقرور من ثوان ..

وأغلق عليهما القبر معا .

وأعلن الوزير الأول أن الحكم مستمر باسم السيد الأعظم .

لم يكن مقرور بعد الموت يحس بشىء ، وكذلك كان مسرور.. وضع الموت حدا لإحساسهما بالحياة .. دخلا عالما آخر مختلفا تماما..

لم يكد مسرور ومقرور يدخلان قبريهما حتى ارتد إليهما إحساسهما فجأة، كان هذا الإحساس الجديد غريبا.

كان إحساسا بالحياة وإحساسا بالموت معا .. كان كل واحد منهما يدرك أنه مات، ويدرك أنه يحيا الآن فقط ..

كان مسرور مذهولا لما حدث .. لقد اختطفه الموت .. أى ويل وراءه .. لقد كان يتصور أن الموت فناء للإحساس ، وها هو يكتشف الآن أنه إحساس مزدوج .. إحساس مضاعف .. رؤية بغير عين، وشعور بغير مشاعر ..

لم يكد مسرور يدخل قبره حتى انطبقت عليه جدران القبر فصرخ .. صرخة هائلة بلا صوت .. أخافت الصرخة البهائم فى المنطقة فارتعش لها دمهم ..

فوجىء مسرور بوجود اثنين فى قبره .. أجلساه فجلس .. سقط كفنه من فوق كتفيه وجلس ..

سأله أحدهما : من ربك ؟

فوجىء مسرور بالسؤال.. عاد الملك يسأله : مادينك ؟.. من نبيك ؟.. لم يرد مسرور بشىء.. عقد الخوف لسانه فلم يقل شيئا..

أشار أحد الملائكة إلى الأمام وأمره أن ينظر..

نظر مسرور فشاهد بؤرة جحيمية من النار المشتعلة.. عاد دمه يتجمد من الرعب مرة أخرى..

سأل مسرور : ما هذه..؟

قال الملك : هذه هى الحطمة..

سأل مسرور بخوف: لماذا تريها لى؟ ما شأنى بها؟

قال الملك : هذا بيتك فى النار.. ألا يعرف السيد الأعظم بيته.. إنك لم تجب عن أسئلتى بعد..

أحس مسرور أنهما يحققان معه.. وملأه هذا الإحساس بروع خفى.. حاول أن يجيب على الأسئلة ولكنه وجد نفسه لايعرف جوابا لها..

لقد كان الذهب هو ربه المعبود، أما دينه فكان هو الهوى، أما الأنبياء فلم يسمع عنهم شيئا إلا بوصفهم ثائرين .

لم يدر أى شىء يقول! وخشى أن يقول كلاما يشير عليه محققيه فلزم الصمت، وارتفع العذاب من جوف القبر وهوى عليه .

حساب مقرور

أيقظ ملائكة الحساب "مقرور" وأجلسوه فى قبره .. كان قد تحول إلى رماد ولكنه فوجىء بنفسه يجلس فى قبره بينهما .

كان إحساسه الغالب هو الخوف والدهشة.. لقد فقد الوعى حين أدخلوه المحرقة، ثم لقى هذا الطيف فى النار فحدثه ألا يخاف، ثم أحس لفح النار ثم غاب عن وعيه ..

وها هو يعود إلى الوعى ليفاجأ بوجود كائنين جليلين حوله ..

سأل مقرور : من أنتما ..

قال أحد الكائنين : ملائكة الحساب ..

ارتعش مقرور وسأل : هل قامت القيامة ؟

قال له الملك: لم تقم القيامة بعد .. أنت فى قبرك .. لقد جئنا نسألك ثلاثة أسئلة..

ـ من ربك ؟

قال مقرور : ربى الله خالق كل شىء .

سأله الملك: مادينك ؟

قال مقرور : أنا على دين جميع الأنبياء .. أسلمت وجهى لله .. أنا مسلم .

سأل الملك : ماذا تقول فى النبى الذى قابلته فى الشرق .. هل تؤمن بدعوته ؟

قال مقرور : نعم..

سأل الملك : وتصدق أن الله أوحى إليه ؟

قال مقرور : نعم ..

أشار أحد الملكين إلى الأمام وقال لمقرور :

أنظر أمامك ..

نظر مقرور فرأى الحديقة الخضراء والقصر العظيم اللذين رآهما فى الرؤيا .. التفت مقرور إلى الملك وسأل :

ـ ما هذا أيها الملك الكريم ؟

قال الملك : هذا مكانك فى الجنة .

سأل مقرور الملكين وهو يحس بفرحة طاغية :

ـ هل قبل الله توبتى ؟

لم يجبه الملك، وقال له أحدهما :

ـ عد الآن إلى الموت بأمر الله ..

وعاد مقرور يتحول إلى ما كان عليه قبل أن يسأله الملائكة .. عاد يفقد وعيه ..

مر عام. ومائة عام.. وألف عام وألف وألف.. بليت الأجساد فى قبورها وتحولت إلى تراب، وامتدت المدينة إلى المقابر القديمة فصارت القبور مساكن، ثم بليت المساكن وعادت قبورا، وتعاقبت دورة الحياة حتى نفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، فنى الأحياء جميعا وتكاملت عدة الموتى خلت من سكانها الأرض والسماوات فصاروا خامدين بعد حركتهم، فلا حس يسمع، ولا صوت يهمس، ولا شخص يرى، ولا كائن يدب على الأرض أو يعبر السماء .. صفرت الرياح فى الأرض التى خلت الآن من جنس البشر.. مات الخلائق وبقى رب الخلائق منفردا بجلاله مستعليا بأنواره قائما بنفسه مستغنيا بذاته عمن سواه ..

قهر الموت كل حى.. وبقى الجبار الأعلى على عرشه سبحانه.. ومرت أزمنة وأزمنة .. ثم شاء الله تبارك وتعالى أن ينفخ إسرافيل فى بوقه النفخة الثانية فأمره أن يفعل ..

التقم إسرافيل البوق ونفخ فيه وهو يتمتم ..

﴿ وماقدروا الله حق قدره .. والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ..

كانت هذه النفخة أمرا من الله تعالى أن يبدأ يوم القيامة وبدأ أطول يوم فى تاريخ الكون. لقد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

اليوم تموت السماوات والأرض والجبال ويستيقظ الإنسان من موته ليسأل عن أمانته.

كان مشهد موت الكون رائعا ورهيبا معا..

بدأ اليوم بتحطيم القوانين الحاكمة للكون، وانفرط عقد النظام المحكم الذى سير المجرات أحقابا وأزمنة.. حين بدأ الكون يموت، صدر الأمر إلى الموتى المكلفين أن يقوموا من الموت..

لم يكد الأمر يصدر لهم حتى أطاعوا جميعا ونهضوا من الموت، كانت عظامهم قد تحللت وفنيت وصارت ترابا من تراب الأرض، ودخلت أجسادهم ملايين التحولات والتبدلات، فمن لحم ودم وعظام إلى سيقان وردة إلى أبريق خزفى إلى فحم فى باطن الأرض إلى ماسة مشتعلة إلى تراب ..

كان كل شىء ينتهى إلى التراب، رغم هذا كله، لم يكد الأمر الإلهى. يصدر إلى الموتى بالقيام من الموت حتى قاموا.. عادوا من العدم إلى الوجود كما قاموا قبل ذلك من العدم ..

ونهض مسرور ومقرور.

تشققت الأرض عن قبور موتاها وبدأوا ينهضون ، زوجت الأرواح للأجساد زواجا مؤبدا هذه المرة ، وأعيد وصل تيار الوعى الذى انقطع .. كانوا جميعا عرايا .. مغبرين بالتراب .. حفاة ..

نهض مسرور داخل قبره فوجد "مقرور" يقف جواره ..

سأل مسرور بصلف": من أنت .. وماذا تفعل هنا ؟

قال مقرور محدثا نفسه : يا إلهى .. ألم نكن موتى ؟

دفعت كلمة مقرور فى نفس مسرور بخوف مفاجىء ، ارتعش دم مسرور فى عروقه وعاد يسأل : ليس وجهك غريبا على، ألست الرجل الذى حاكمناه بتهمة الخيانة ؟.. قال مقرور: نعم أيها السيد الأعظم .. ألست السيد الأعظم .. لقد حوكمت بتهمة الخيانة كما تقول .. كنت أؤمن بيوم القيامة .. وها نحن نقوم من الموت ..

قال مسرور مكابرا : كنا نحلم أيها الأحمق .. كان هذا حلما مخيفا .. أين قائد الحرس ؟.. أين كبير البصاصين ؟

فى قاع روحه .. تأرجح احتمال واحد بأن يكون مقرور صادقا ، لعله مات حقا ولم يكن ما رآه حلما مخيفا كما يظن، إن مشهد الزائر الغامض الذى سقاه كأس الموت لم يكن حلما ، كما أن مشهد العذاب فى قبره كان أقسى من أن يكون حلما .. يبدو أنه مات

وقام من الموت.. أخافته هذه الفكرة أكثر مما أخافه أى شىء آخر..

وتأمل مسرور ملامح مقرور وأحس بالندم فجأة .. هذا رجل مسكين لايبدو عليه التآمر فكيف حاكمه بهذه التهمة وأمر بإعدامه .. لقد تسرع فى الحكم عليه، لقد تسرع قليلا .. لكن كيف كان له أن يصدقه وكل التقارير التى تأتيه من وزرائه وقادة جنده كانت تؤكد له العكس تماما.

لاحظ مسرور أنه يسير.. كان هناك آلاف الموتى الذين بعثوا من نفس القبر وازدحموا فى اتجاه الفتحة التى توصل إلى الأرض ..

تساءل مسرور بينه وبين نفسه : إلى أين أسير مسرعا هكذا ؟

من الذى أمرنى أن أقوم ؟ أين ملابسى وقصرى ؟.. أين خدمى وجنودى ؟.. من الذى أمرنى أن أنهض ومن الذى يحرك أقدامى.. أين سلطانى ؟

خرجا من الشق وسارا على الأرض .. كانت الشمس تختلف عن الشمس القديمة .. كانت تقرب من الأرض وتحتضر فى نفس الوقت.. دهم مسرور خوف غامض، ولاحظ أن هناك اثنين لا يعرفهما يسيران أمامه وخلفه، كان الذى يسير أمامه يقود الطريق دون أن يتكلم أو يقول شيئا وبدا له أنه يسوقه سوقا، أما الذى كان يسير خلفه فكان يبدو أنه ملتصق به مثل التصاق الشاهد بالجانى .. أدرك مسرور أنه ليس حرا فى السير كما يحب.. أدرك أنه مقبوض عليه .

توقف مسرور فسأله السائق : لماذا توقفت ؟

رد مسرور حانقا : أين تذهبان بى ؟

لم يجبه السائق ، ودفعه الشهيد فى ظهره وقال : ألا ترى أننا جميعا مأمورون؟ تحرك فإنك تعطل الطريق .. وعاد مسرور يسير.

كان مقرور يسير إلى جواره، كانت حركة مقرور أبطأ قليلا من حركة مسرور ولم يكن مقرور يزيد على قوله : يا إلهى.. يا إلهى.. كان يطمئن نفسه بالتشبث بذكرى خالقه .. كان مقرور هو الآخر قد أدرك أنه موضع حراسة جيدة من كائن يسوقه وكائن يمشى خلفه كظله ، والتفت مقرور لأحدهما وسأله هامسا : ماذا يحدث ؟

قال له الكائن بود شديد : هذه بداية القيامة ..

قال مقرور: إذا كان هذا الهول هو بدايتها فكيف تكون النهاية ؟

قال له الكائن : أسرع قليلا فى سيرك .... وعادوا يسيرون ..

كانت الأرض تمتلىء بالخارجين من القبور، فوجا بعد فوج، وأمة بعد أمة، وشعبا بعد شعب، واختلط خروج الموتى بنهاية العالم الذى عرفوه .

أشار أحد المبعوثين من موتهم وصرخ: أنظروا إلى البحر..

اتجهت الأنظار إلى البحر .. كان البحر يحتضر بطريقته الخاصة، إن هواءه العليل وموجه البارد يتحولان الآن إلى دخان وانفجارات كانت تمزق صدر الهواء بصوت راعد مزلزل ..

وبدأ البحر ينفجر ، إن كل ذرة من ذرات مياهه وكل نواة من نويات ذراته كانت تنفجر .. وهاهو الهواء البحرى العليل يتحول إلى صهد نارى أزرق، وها هو الموج المائى يتحول إلى نار ..

ووقف مسرور ومقرور وسط الحشد يتأملون ما يحدث.. كان هؤلاء يعرفون أن الماء يطفىء النار .. عرفوا هذه البديهية من حياتهم السابقة وصارت من المسلمات .. وها هو الأمر البديهى يسفر عن وجهه الآن ، إن الماء لايطفىء النار الآن ، إنما يتحول إلى نار .. واندفع الحشد البشرى مبتعدا عن البحر ..

وتزايد عدد الخارجين من القبور .. كثر الخلق واحتشدوا وبدا أن الأرض تتشقق عن أجيال لا نهاية لها من البشر .. رجال ونساء وأطفال وشيوخ، وجوه مختلفة وألوان مختلفة وألسنة مختلفة وتعبيرات من الروع مختلفة .. حشد هائل راح يتسع ويمتد ويستطيل ويكبر .. كانت هناك سلسلة من الجبال عند نهاية المشهد.. وكانت الجبال تعترض امتداد البشر وتزايدهم .. وصار مقرور ومسرور الآن نقطتين وسط هذا الحشد البشرى الهائل ..

اقترب الحشد البشرى من الجبال ..

كان مسرور مذهولا تماما من مشهد انفجار البحر وتحول أمواجه إلى نار ودخان، أما مقرور فقد تأكد الآن أنه كان ميتا ثم بعث من الموت لقد صدق مقرور إذن ... كيف استطاع رجل واحد أن يعرف حقيقة خفيت على نظام بأكمله !.. واقترب مسرور من مقرور وقد بات يحس الآن بلون من الطمأنينة جواره .

سأل مسرور : ما معنى مايحدث قال مقرور: إنها القيامة.

قال مسرور معتذرا : لقد كنت على حق أرجو ألا تكون غاضبا بسبب إعدامك .

لم يرد مقرور بشىء ، كان شعوره بالعجب أكبر من شعوره بالهول ، أما مسرور فلقد اعتبر صمت مقرور عداء مضمرا فتحرك بعيدا عنه ، فى قاع روحه كان مسرور يوقن أن خطرا داهما يحدق به ، ولقد حاول الإفلات أكثر من مرة من حارسيه وكان يميل فجأة جهة اليمين أو اليسار ثم يندس فى الحشد البشرى ويسرع السير ثم يجرى ثم يعاود السير فيكتشف أن أحد حارسيه أمامه والثانى خلفه .

كانا يلتصقان به بشكل خفى ، وأدركه اليأس وفكر أنه يجب أن يستعين بأحد ، لو كان قائد جيشه وكبير البصاصين أو رئيس العسس معه الآن لتغير الموقف على الأقل كان يحس ببعض الأمن والأمان وراح يتلفت بوجهه بحثا عنهما ، لكنه أدرك عقم المحاولة، لقد كان يبحث كمن يبحث فى البحر عن إبرة سقطت من سفينة .

وتكامل إحساس مسرور بأنه سجين يقاد وسط حشد هائل يقادون مثله إلى أين .. لا أحد يدرى .

اقترب الحشد البشرى من الجبال فوقع أمر مدهش .

اقتلعت يد القدرة الخفية الجبال من مكانها ورفعتها أمام هذا الحشد الهائل وأخلت بذلك الطريق أمامه ليتسع.

وارتفعت رؤوس البشر تنظر إلى الجبال ، راحت الجبال تمر مر السحاب، ثم بدأت تنفجر انفجارات متتالية ، كل نواة صخرية كانت تنفجر كنواة وتؤدى إلى سلسلة انفجارات نووية لغيرها ، وتحولت الجبال إلى شىء يشبه الصوف المنفوش الذى تحول إلى دخان لم يلبث أن تبدد .. صارت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا استوت الأرض حين نسفت الجبال فلم يعد فيها انخفاض ولا بروز ولا ميل ولا تعرج ، ثمة امتداد واحد مستو مخيف .

وانساحت كتلة البشر فى المكان الذى خلا بموت الجبال .

مادت الأرض حين اقتلعت أوتادها الجبلية، مثلما تميد خيمة فى الصحراء قد نزعت أوتادها ، وتركت وحيدة منفردة أمام رياح الصحراء الشتائية العاتية .. وتضارب البشر وتخبطوا ومالوا مع ميل الأرض .. كان واضحا أن الجبال قد نسفت بشكل أباد مادتها من الوجود .. وكان واضحا أن ما يحدث هو بداية لشىء هائل لم يحدث بعد .. وبدأ الحشد البشرى يرتعش بنغم واحد هو الهول ..

قال مقرور لنفسه : رحمتك يارب .. لطفك يارب ..

أما مسرور فكان يحس بهول الموت يأتيه من كل جانب ، ولا موت هناك ولا راحة ..

من شقوق الأرض كان البشر يخرجون، ومن أرجاء الكون كان الجن يحشرون ومن فجاج الأرض كانت الوحوش تخرج.

كان مشهد الجن وهو يتقدم عن يمين البشر مخيفا ، لقد ظهر لهم بظهور صورهم الحقيقية ، ولكن هولهم لم يؤثر فى البشر، فقد كان هول ما يجرى هو العنصر الحاكم للموقف، وبدا الجن فى ذهول مما يجرى حولهم فى الكون الذى طالما تسابقوا بين كواكبه ولعبوا فى خلائه ... وأقبلت كتلة الوحوش عن يسار البشر .. كان عدد

الوحوش يزيد كل لحظة وهم يخرجون من الأرض ويسيرون وقد نكسوا رؤوسهم من الهول.. حشرت جميع الوحوش ، أسود ونمور وصقور ووعول وكلاب وخراف .. وأقبلت مجموعة من الأسود نحو مسرور .. توقف مسرور عن سيره وأدركه رعب غامض .. لقد اصطاد فى حياته مجموعة من الأسود ، لعل من بين هؤلاء أحدهم وقد جاء ينتقم .

عبرت الأسود "مسرور" وتجاوزت مكانه وانطلقت تجرى مندفعة، لاحظ بين هذه الأسود وعلا صغيرا كان يجرى هو الآخر، لاحظ أن الأسود لم تلتفت إلى الوعل كما أن الوعل لم يرهب الأسود ، كان واضحا أن الهول النازل بالأرض قد حبس الوحوش عن صفاتها الوحشية .. أو أنساها صفاتها الغريزية ... وها هو الأسد يجرى جوار الوعل فلا يشتهى افتراسه ولا يفكر فيه ولا يراه من فرط ما يحسه من هول ... وتصاعد الهول بحشر الجن والوحوش ..

كان مسرور ومقرور الآن قد التصق بعضهما ببعض، وبدأ مسرور يحس بلون من الخوف لم يعرفه قبل ذلك..

التفت إلى مقرور وسأله : كم لبثنا موتى.. أقصد كم لبثنا أحياء قبل الموت .. أقصد كم لبثنا أحياء وموتى .. قال مقرور : الله أعلم .. إن إحساسى أننا لبثنا أياما، وربما ساعات ..

لبثنا أحياء أياما .. ولبثنا موتى ساعات.. لست أدرى ..

كان مايجرى أكبر من احتمال الجن والبشر والوحوش .. وكانت الأرض لم تزل تخرج كل من دب عليها منذ هبوط آدم إليها ..

أدرك الحشد يوم الحشر أنهم يشهدون نهاية عالمهم الذى عاشوا فيه حين كانوا أحياء ، وعرفوه حين كانوا يدبون فوقه .

إن عالما بأكمله يتهاوى محطما أمام أعينهم ..

البحار تنفجر .. والجبال تنسف .. والقمر يتحطم والنجوم تهوى باردة والشمس تقرب من الأرض وقد هوت فى الفراغ بعد أن تحررت من القوانين التى كانت تمسك بها ..

وأدرك الحشد المحشور الذى نهض من الموت أنه يشاهد اللحظات الأخيرة فى الكون الذى عرفوه .

وقعقع صوت حطام الكون كله وهو يهوى ساجدا لله الواحد الأحد .... فهم الحشد أن الكون يسجد لخالقه ..

فهموا هذا جميعا بلا استثناء .. وأضيف إلى الهول الخارجى هول نفسى وهم يقتربون من اللحظة الفاصلة ..

واقتربت الشمس من الأرض .. واقترب مسرور من مقرور مروعا وقال: ما الذى يحدث للشمس ؟

كان مقرور يتأمل الشمس وهى تندفع بجرمها فى الفضاء قادمة نحو الأرض وهى تكبر كلما اقتربت .. ومنعه الهول أن يجيب ..

واشتدت الحرارة حين اقتربت الشمس من الأرض ، وبدأ الخلائق جميعا يعرقون ، كان العرق ينحدر من أجسادهم جميعا إلى الأرض، واختلط العرق بالتراب بصهد الانفجارات الكونية حتى أحس مسرور أنه يسير فى ماء يغلى ..

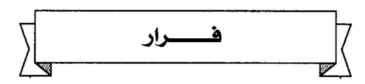
ثقلت حركة أقدامه فنظر تحته فإذا الماء يرتفع من الأرض حتى ركبتيه .. ونظر إلى مقرور فوجده يعرق لكن عرقه لم يكن بهذه الوفرة فملأته الدهشة ..

واقتربت الشمس من الأرض أكثر .. وثقلت حركة مسرور أكثر ، ونظر تحت قدميه فإذا الماء يبلغ صدره ونظر إلى مقرور فإذا الماء عند كعبيه، وبدأ مسرور يحس أنه سيغرق، بدأ يحسب أنه يموت، وملأه هذا الإحساس بسراب واهن من الأمل ، إن الموت راحة كبرى إذا قيس بما يحسه الآن، ولكنه كان يدرك أن الموت قد صار هو الآخر أمنية مستحيلة ..

وارتفع الماء إلى رقبته ورغم ذلك ظل يسير .. كانت فكرة أنه يمكن أن يغرق فى عرقه تبدو له أقسى من قدرته على فهمها ..

واقتربت الشمس أكثر وأكثر ..

وقدح الهول زمام الخلق فاندفعوا يفرون ..



فـــرار

اقتربت الشمس أكثر وأكثر .. ومادت الأرض أكثر وأكثر..
وبدأ الخلق يفرون .. بعضهم يفر من بعض من هول مايحدث.. فقد مسرور أثر مقرور واندفع يجرى فى اتجاه اليسار .. اختلط الآن الإنس والجن بالوحوش بالطير .

إن أصوات الانفجار وانقلاب الأوضاع وانهيار عناصر الكون واهتزاز الأرض واضطرابها كان يدفع الجميع إلى الفرار .

جرى مسرور مذعورا يريد النجاة بنفسه .. انتهى الأمر ومات داخله الأمل فى النجاة، أدرك هذا وهو يجرى قاصدا لاشىء ، كان يجرى يائسا مدركا أن الجرى والوقوف سواء ..

فجأة شاهد قائد جنده وكبير البصاصين جواره .. اندلع داخله فرح مؤقت وصرخ يناديهما .. التفت إليه قائد الجند فكان وجهه منقلبا من الفزع ، ولم يبد عليه أنه تعرف عليه ..

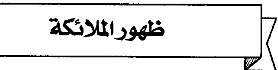
صرخ ينادى كبير البصاصين أن ينقذه ولكن كبير البصاصين صرخ فيه وهو يعدو مبتعدا : نفسى .. نفسى ..

عاد يصرخ عليه ولكنه اختفى وهو يلعن "مسرور" ويسبه ..
وانطفأ الفرح داخل مسرور وملأه الفزع .. أدرك أن سلطانه قد

هلك ، كما أدرك أنه مثل فأر يتخبط داخل مصيدة هائلة من الانفجارات الكونية .. وأنشأ مسرور يجرى على غير هدى .. مرة فى اتجاه اليمين ومرة فى اتجاه الشمال ولكنه دائما كان يجرى إلى الأمام .. مر جواره مقرور ففر منه ، مر جوار أمه وأبيه فلم يتوقف عندهما ، مر جواره رئيس العسس ووزيره الأول فلم يرهما إلا صورتين تهتزان من الرعب .. كان يفر من أبيه، وأمه وأخيه ، وصاحبته وبنيه .. وأدرك مسرور أن أحدا لن ينقذه .. كما أدرك أنه لن ينقذ أحدا ، انغرس الإحساس الأول فى قلبه مثل نصل بارد مسموم ، ولم يعبأ بالإحساس الثانى كثيرا .. كما أنه لم يعد يجرى الآن بهدف .. لم يعد يفر الآن بهدف .. إنما هو يفر من فراره ذاته وقد حولته مرعبات القيامة إلى شىء يختلج بالخوف ويدور حول نفسه يائسا ، كان مقرور هو الآخر يفر من هول مايقع .. وإن كان يدعو فى قرارة قلبه أن يكشف اللطيف هذا الهول بلطفه ..

لم يعد الجن جنا هم الآخرون ، إن كل قدراتهم الخارقة تنكسر أمام هول القيامة فإذا هم يفرون مع من يفر دون أن يعرفوا إلى أين.. أما الوحوش فكانت تلتصق بالناس والجن علها تجد عندهم الأمن ولكنها كانت تفزع أكثر كلما شهدت فزع الناس وفرارهم ..

ومادت الأرض أكثر وأكثر .. وكبر الفزع وصار الفرار اليائس المذعور هو نبض الكائنات جميعا .



ظلت الأرض تخرج موتاها وتسلمهم إلى ظهرها حتى لم يعد فى جوفها أحد، واكتمل بعث أهل الأرض من الإنس والجن والشياطين والوحوش والسباع والأنعام والهوام والطير .

حين تكامل المشهد واستوى الجميع فى موقف الحشر .. بدأ الكون يدخل مرحلة احتضاره الأخير ..

بدأت الأرض تدك دكا دكا، وتناثرت نجوم المجرات من فوقها، وطمست الشمس وبدأت تبرد ، تحول لونها من الأصفر الوهاج إلى اللون الأحمر ، ثم دلف اللون الأحمر إلى اللون الأزرق ، ثم ذابت الزرقة فى لون رصاصى سرعان ما تحول إلى السواد ..

وراحت الشمس تصدر أصواتا ممزقة وهى تنفجر محتضرة فى سماء يوم الحشر ، وبرق بصر الخلق ثم ساد الكون كله ظلام دامس.. انطفأت نجوم المجرات وهلكت الشمس وطمس القمر وساد الظلام ... وتوقف أهل الحشر فى أماكنهم من الهول .. لم يعد هناك من يجرى ..

إن "مسرور" يرتعش الآن من البرد بعد أن كان يتفصد عرقا من الحر، إن جليدا أسود موحشا يزحف عليه من جميع الجهات ، نظر

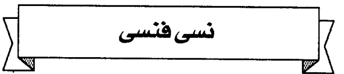
فى اتجاه مقرور فلم يره ولم يستطع أن يميز أحدا ، وهبطت السماء الدنيا إلى الأرض وبدأت تتشقق هى الأخرى ، ثم صدر الأمر الإلهى إلى قوانينها الحاكمة أن تنحل فانحلت، وانفطرت السماء وهى تهوى ممزقة محتضرة .. وقد كشطتها يد القدرة القادرة ..

كان مشهد موت السماوات والمجرات مهولا.

ذابت السماء حتى صارت كالمهل ، تحولت إلى لون الفضة التى تخالطها صفرة الفزع، ثم تغير لونها حتى صارت وردة كالدهان ، مثل لون الفرس الأحمر الذى يعدو هناك ، ثم انسكبت حمرتها فى الفضاء وانشقت السماء عن أبواب مفتوحة .. من وراء أبواب السماء التى انفتحت . ظهر الملائكة وهم يقدسون الله ويسبحونه .. وقد ملك الخوف نفوسهم رهبة من الموقف .

تأمل مسرور مايجرى وقلبه يدق بعنف مثل طبل أجوف قادم من بعيد وهو يحمل أخطار عذاب بئيس .

لم يعرف مسرور كم من الوقت مضى عليهم فى هذا الهول .. لم يعرف كم من الوقت مر منذ أن قام من الموت حتى تشققت السماء.. وكان أكثر ما يدهشه أنه لم يزل حيا رغم كل ماشاهده ، ولمع فى أعماقه شعور بأنه لن يموت بعد الآن، وأفزعه هذا الشعور أكثر مما أفزعه هول القيامة أما مقرور فكان يسبح باسم اللطيف وهو يرتعد .



كم من الوقت مر على يوم القيامة ؟

هل مرت عشرة آلاف سنة .. هل مرت خمسون ألف سنة ، هل مر يوم حقا ، أسئلة ترددت فى صدر مسرور رغم إدراكه أنها كلها أسئلة بلا معنى .. إن تعاقب الليل والنهار وظهور الشمس والقمر كانا بمثابة ساعة كونية تدل على الوقت ويعرف منها البشر حساب الأيام والسنين ، وها هى الشمس تموت وها هى الساعة تهوى محطمة .

انتهى الأمر وخرج الوقت على حدود الوقت ، وتوقف الإدراك عن الإدراك حين وقع هذا انحدر الملائكة من أبواب السماء المفتوحة بعظيم أجسادهم ووهج أجنحتهم وهم يرتعشون فى أنوارهم خوفا من الجبار الأعلى ، وبدا واضحا من خشية الملائكة ورهبتهم أن الله تبارك وتعالى قد غضب .. ووسط الظلام الكونى السائد لم يكن يضىء المشهد غير أنوار الملائكة وهم ينزلون من السماوات صفوفا صفوفا .. كانوا جميعا يرتعشون رهبة وخشوعا .. وأدرك أهل الحشر جميعا هذه الحقيقة .. أدركوا أن الله تبارك وتعالى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله . وأفسح

الهول الكونى مكانه لهول نفسى بدت جواره أهوال حقبة القيامة باهتة شاحبة عديمة الأثر .. تسربل الملائكة بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم ووقفوا صفوفا حول أهل المحشر ، وتأمل الناس الملائكة وأحسوا بالضآلة والخشوع والرهبة، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ، وراح الضجيج الصادر من بلايين الإنس والجن والوحوش ينحسر حتى ذاب فى صوت تنفس الخلائق الثقيل .. وكشطت السماء أكثر وأكثر حتى تلاشت تماما كما تلاشت الأرض القديمة، اختفت مادة السماء وذابت مادة الأرض ووقف المبعوثون من موتهم على أرض المحشر .. ثمت أرض بلون الفضة الشاحبة لم يرتكب أحد فوقها خطيئة ...﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾

بعد أن قضت فى الظلام وقتا خرج على حدود الوقت، أضىء المشهد بنور جديد ليس هو ضوء الشمس ولا نور القمر، ثمة نور لا عهد للخلق به . نور إلهى .. لم يكد المشهد يضىء بهذا النور المقدس حتى فقد مسرور بصره . أعمى نور الله تعالى بصره كما أعمى أبصار الكافرين، وأراد مسرور أن يصرخ من الفزع ولكن شيئا داخله دفن صرخته فى صدره فترددت مثل عواء مذبوح فى أعماق روحه .. أيقن بالهلاك .. وتمتم لنفسه مبتئسا ـ رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا .

قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾ ...

استقبل مقرور نور الله تعالى مثلما يستقبل الغريق نسائم النجاة والخلاص ، وأحس أن قلبه يهدأ فى هذا النور الهادى الجديد، واتسعت المسافات بين أهل الحشر فجأة ، ووقف كل مخلوق أمام ملائكة الحساب ، وحمل الملائكة المقربون كتابا عظيما وضع أمام الجميع، وزاد خشوع الأصوات للرحمن، وظهر جبريل فسد الآفاق بهيبته وأنواره وأجنحته.. ونادى جبريل وسط الصمت الحاكم : لمن الملك اليوم ؟... وبلغت القلوب حناجر الخلق ، ورد أهل الحشر بانكسار النفوس ورهبة القلوب : لله الواحد القهار ..

قال جبريل بصوت سمعه الموقوفون جميعا : لقد كانت أنسابكم فى الدنيا تقدمكم وتؤخركم ، وكان الثراء يقدم ويؤخر ، وكان الملوك والأمراء يقدمون ويؤخرون، اليوم يضع الله تبارك وتعالى أنسابكم ويرفع نسبه. لا أنساب اليوم سوى التقوى وسلامة القلوب .. هذا معيار الفضل الوحيد اليوم .

أحس مقرور أن فزعه يسكن، راح يتأمل عظمة جبريل وبهاءه

ويسأل نفسه : إذا كان جبريل بكل عظمته وجلاله عبدا لله .. فكيف تكون عظمة الرب المعبود ..

نصبت الموازين للخلق وجيء بالنبيين والشهداء فتصدروا قومهم وبدأ الحساب.. أدرك مقرور أنه يواجه محاكمة ، كان قلقا لايعرف هل قبل الله توبته أم ردها فى وجهه، وكان يتمتم باسم اللطيف فى قلبه ليسكن روعه، وأحس مقرور أن الأمل الوحيد الباقى لديه أن يلطف به اللطيف الرحيم ... أما مسرور فكان قلبه هواء ..

إن الرعب الذى يصفر فى صدره يجعل عويل الرياح الشتائية وسط الغابات شديد الإيناس إذا قيس إلى عويل الخوف فى نفسه.

أدرك مسرور أنه يقف موقف محاكمة بين يدى الله، وأنه سيحاسب بعد قليل عن كل جرائمه، لقد عاش ومات وبعث وها هو يقف للحساب .. لم تكن هذه الحقيقة تعرض له فى حياته ، لم يكن يتوقف عندها ، كان مشغولا بالسلطة والحكم والذهب والهوى، لم يكن يصدق أن مايحدث له الآن يمكن أن يحدث.. وبدأ الملائكة يسلمون أهل الحشر من الإنس والجن كتب أعمالهم، ومد مسرور يده وراء ظهره فوضع فيها ملائكة الحساب كتابا غريبا .. كتابا يعرض بالصوت والصورة كل دقائق حياة المرء، من يوم ولادته إلى ساعة موته .



اقرأ كتابك

قالت الملائكة لمسرور وهم يعطونه كتابه : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

وقالوا لمقرور نفس الكلمات، وقيلت الكلمات لكل أهل الحشر.. وأحس مسرور بالاطمئنان وأحس مقرور بالخوف ، نبع اطمئنان مسرور من الفكرة التالية، مادام هو الذى سيحاسب نفسه فسوف يجد لها مخرجا، لن يحكم عليها بشىء.. سيبرئها وسيشحذ ذهنه للدفاع عنها وتبرئتها .. أما مقرور فقد أدرك جسامة المسئولية التى ألقيت على كاهله، وخيل إليه أن وراء العبارة تهديدا غامضا مستترا ، مثل قول القاضى للمتهم بماذا تحكم على نفسك .

إن المتهم يعلم أن القاضى هو الذى سيحكم فى النهاية.. انشغل مقرور بكتابه وخشى أن يفتحه ثم جازف وفتحه .. راح يبحث عن سيئاته فلم ير إلا حسنة واحدة كبيرة كانت تتكرر فى صفحات الكتاب كله، وأدرك مقرور أن خطأ ما قد حدث، وأنه أعطى كتابا غير كتابه، مال على الملائكة الذين أعطوه كتابه وقال لرئيسهم هامسا : لقد أعطيتنى كتاب إنسان آخر .. ليس هذا كتابى ..

قال له الملك بود : عد إلى مكانك .. هذا كتابك .. نحن لا

نخطىء .

قال مقرور وصوته ينخفض أكثر: ليس فى الكتاب سيئات عملتها ؟.. أين ذهبت السيئات ؟!

قال الملك : قل هذا لربك الغفور حين تقف للعرض بين يديه .

سأل مقرور مبهورا وقد داخله فرح هائل: هل أقف بين يدى الله؟

قال الملك : نعم..

قال مقرور وهو يلتفت حوله للحشد الهائل :

ـ ﴿ هاؤم اقرءوا كتابية .. إنى ظننت أنى ملاق حسابية ﴾ ..

تلقى مسرور كتابه خلف ظهره، قال لملائكة الحساب :

ـ لقد صرت أعمى ، ولم أعد أستطيع أن أقرأ .

قال له الملك : ستحاسب أكثر من مرة .. سيرد لك بصرك لتقرأ، وستحكم على نفسك، وسيحاسبك الله بنفسه .

ارتعش مسرور وبدأ يتصفح كتابه..

رأى نفسه وهو يهيىء طريقه للسلطة، شاهد الجرائم التى ارتكبها جريمة بعد جريمة، شاهد نفسه يقتل، ويدس السم، ويظلم، ويزنى، ويكذب ، ويكتنز الذهب والفضة ، رأى نفسه طاغية جبارا .. وراح يقلب الكتاب كالمجنون بحثا عن حسنة يرتكز إليها أو عمل طيب يتشبث به فلم يجد .. وبدأ يكره نفسه بعد أن شاهد صورتها الحقيقية أمام عينيه، بعد أن عميت عيناه واشتعلت بصيرته .

بدأت محاكمة مسرور ..

قيل له : أنت متهم بتأليه نفسك وإفساد شعبك ، لقد زورت إرادتهم ومحوتها، ولم تكن تسمح لمن يعارضك أن يعارضك ، وهذا كبرياء وعظمة، والكبرياء رداء الله تعالى والعظمة إزاره، من نازعه واحدا منهما ألقاه فى جهنم.. ماذا تقول دفاعا عن نفسك..

قال مسرور : لست مسئولا وحدى ، لقد خدعنى وزرائى وكبير البصاصين ورئيس العسس.. أريد استدعاءهم للشهادة .

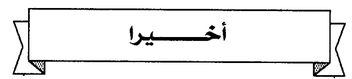
أمر الملائكة بإحضارهم فمثلوا أمامه .. ووجه مسرور اتهامه للوزير الأول وفوجىء أن وزيره يرد عليه بوقاحة : نحن لم نخدعك.. إنما خدعتنا أنت بسلطانك فاتبعناك ، وكنا صدى لصوتك، وأداة وضيعة لمشيئتك ، لقد خربت بيتنا اليوم وضيعتنا كما ضيعت نفسك ... استدار مسرور حانقا والتفت إلى كبير البصاصين وسأله : ألم تخدعنى أنت بأكاذيبك عن مؤامرات موهومة تستدعى قتل العشرات .. قال كبير البصاصين : كانت هذه الأكاذيب هى أفكارك أنت ، وكنت تحب أن تسمعها من أفواهنا نحن ، وكان هذا معيار الولاء عندك .

استدار مسرور وقد بلغ به الجزع منتهاه ، وأنشأ يلطم وجهه وهو

يقول : لماذا لم يقاومنى أحد ؟ لماذا لم يثر على أحد ؟ لقد كانت استكانة الناس هى الدليل عندى على رضائهم، لقد ضيعنى هؤلاء الكلاب الذين أسلمتهم مقاليد الأمور، كما ضيعنى الناس حين صبروا على ظلمنا ، لماذا صبروا على ظلمنا لهم ، لو لم يصبروا عليه لكان حالنا وحالهم أفضل .. ظل مسرور يردد كلماته وهو يحس بحقد طاغ تجاه وزيره ومسئولى دولته وشعبه وحتى تجاه نفسه .. وانخرط مسرور فى حوار محموم مع شهوده ، وانتهى الحوار بأن أمسك كل واحد منهم رقبة الآخر وحاول أن يخنقه ..

وصدر الأمر إليهم من الملائكة أن يلزموا حدود الأب فانطفأ جدلهم ووقفوا ساكنين وميزان مسرور يميل نحو إدانته .

عادت الملائكة تقول لمسرور : لقد خلق الله تعالى الناس أحرارا ولكنك سجنتهم فى الأكاذيب والأباطيل والأوهام والقهر .. لقد أعليت قيمة النفاق خلال حكمك على قيمة الصدق والشجاعة، فسممت جو الحياة وخنقت ضمائر الناس .. ماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟.. استمر التحقيق مع مسرور زمنا بدا له من فرط طوله أطول من أهوال القيامة ، سألوه عن عبادته لنفسه فأنكر ، عن كنزه الذهب والفضة فأنكر، عن تسميمه لجو الحياة فأنكر ، عن جرائم القتل التى ارتكبها نظامه فأنكر، واستمرت المحاكمة حتى وصل ملائكة الحساب إلى جنايته مع مقرور .



أخـــيرا

أوقف الملائكة "مقرور" أمام مسرور وسألوا الجانى وهم يشيرون إلى الضحية : هذا رجل كان ذنبه عندك أنه يؤمن بالله واليوم الآخر ، لماذا قتلته ؟ ولأى سبب أمرت بإحراقه ؟ لقد عذبت رجلا بالنار ولا يعذب بالنار سوى رب الجنة والنار ..

قال مسرور : هذا هو العمل الوحيد الذى أعترف أننى تسرعت فيه، لقد تسرعت بإعدامه ، هذه هى الحقيقة .. يبدو عليه أنه رجل طيب فعلا.. لكننى لست مسئولا تماما عن هذا التسرع ، وبالتالى فلست مسئولا عن قتله ، لقد قتله النظام الحاكم الذى كنت أحكم به وكان فى الحقيقة يحكمنى .. لقد قتله النظام وقتلنى معه ..

كان مسرور يجادل عن نفسه ، وكان مقرور يحس بالشفقة نحوه ، انكشف كل شيء الآن ولم يعد فى حاجة لأن يكره أحدا أو يحس بالضغينة نحو أحد ، نزع الله تعالى ما فى صدره من غل إنسانى حين أدرك أنه موضع رضا الرحمن .. أما مسرور فكانت كراهيته وغله يزيدان كل لحظة ، وكلما حاصره الملائكة بالأسئلة زادت كراهيته لنفسه ، وكلما تبرأ منه أتباعه ووزراؤه وجنده ، اتسعت كراهيته ، ثم انقدح فى ذهنه خاطر أحس أنه آخر فرصة لإنقاذه .

قال لملائكة الحساب : إن الشيطان هو الذى دفعنى لكل ما فعلت .. أنا لم أفعل شيئا فى الحقيقة ..

وجاء الشيطان كشاهد .. قال له مسرور : ألست أنت السبب فى كل ما حدث ؟ .. قال الشيطان ساخرا :

هل رأيتنى أركبك مثل دواب الركوب وأسوقك نحو الخطيئة، كل مافعلته أننى دعوتك إلى الشر فلبيت الدعوة ، ما كان لى عليك من سلطان أكثر من ذلك .. إنى برىء منك .. إنى أخاف الله رب العالمين .. لا تلمنى ووجه اللوم لنفسك .

كان مسرور مصرا على الإنكار منهمكا فى الجدال عن نفسه، فلما رأى ملائكة الحساب إصراره أحالوا قضيته برمتها إلى الله..

لم يكد مسرور يسمع كلمة الله تعالى حتى انهار، تزلزل واقعا وهو يبكى ويصرخ إنه لايريد أن يعرض على الله، توسل إليهم أن يفعلوا به مايشاءون، فليمزقوه قطعا صغيرة ، وليلقوه إلى الأسود الجائعة التى تقف هناك، ليفعلوا به أى شىء إلا أن يعرضوه على الله .. كان لفظ الجلالة يلقى فى قلب مسرور رعبا مطلقا غير محدود ، رعبا بلا شكل ولا طول ولا نهاية ولا بداية ، رعبا لا نهائيا .. وحمله الملائكة حتى انتهوا به إلى عرش الرحمن، فأوقفوه فى حجاب الخوف ، حاكم الله تعالى "مسرور" دون أن يكلمه أو ينظر إليه .. قال له : ألم أخلقك ؟ ألم أحسن إليك ؟ ألم أعهد إليك ؟ كيف بارزتنى بالمعاصى وتجرأت على ؟ وخرس لسان مسرور وتكلمت جوارحه .. فوجىء أن عقله يتكلم ، وأن قلبه يعترف ، وأن جلده يشهد عليه .. وطالت وقفة مسرور أمام الله عز وجل .. طال حسابه فأيقن انه هلك ..

قل يا عبد

أوقف الملائكة" مقرور" تحت ظل العرش فى حجاب الرحمانية ، قال الله تعالى له : قل يا عبد حتى أسمع ..

قال مقرور : سبحانك ربنا .. تباركت وتعاليت .. أنا عبدك الذليل فلا يعلم قدر ذلى إلا أنت ، وأنا عبدك الفقير فلا يعلم قدر فقرى إلا أنت ، وأنا عبدك الضعيف ، فلا يعلم قدر ضعفى إلا أنت، لقد عدت على ذلى بعزك ، فأعززتنى بمعرفتك وتوحيدك ، وعدت على فقرى بغناك فأغنيتنى بذكرك ، وعدت على ضعفى بقوتك ، فقويتنى بهدايتك وأمسكتنى فى هدايتك بالإسلام ..

أنا الذليل بى وأنا العزيز بك ..

وأنا الفقير بى وأنا الغنى بك ..

وأنا الضعيف بى وأنا القوى بك ..

ها أنايامولاى قد جئتك بذنوبى وخطاياى، ولكنى لا أجدها فى كتابى .. قال الحق : ياعبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا .. وأنا أغفرها لك اليوم.. قد قبلنا توبتك حين تبنا عليك لتتوب، وغفرنا كبير جرمك وكثير سيئاتك ، وتقبلنا منك يسير إحسانك .. ولقد بدلنا برحمتنا ذنوبك السابقة إلى حسنات حين حسنت توبتك ..

خر مقرور ساجدا وهو يبكى حياء من الله وحبا فيه .

نادى الحق أنه تعالى عن الشرك وأنه أغنى الأغنياء عنه ، فمن أشرك به أحدا أو شيئا فليأخذ أجره ممن أشرك به .. أما الله تعالى فليس عنده لهؤلاء سوى الجحيم .

كان مشهد الحساب رهيبا .

إن كتب الخلق جميعا تتحدث بالصوت والصورة عن كل ما فعلوه، مثلما تسجل كاميرا الفيديو الخفية كل شيء ، حتى النوايا هي الأخرى كانت مسجلة ومكتوبة ومحفوظة ، ولم يكن الكتاب يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. وقف الأنبياء يتصدرون قومهم، ووقف الملائكة يحاسبون أتباع الأنبياء وفق رسالات أنبيائهم .

حوسب كل إنسان حسب عقله وعلمه وظروفه ، ولجأالناس والجن إلى الأنبياء يطلبون الشفاعة ، توجهوا إلى الملائكة يطلبون الشفاعة ، وكشف الحق عن سيقان أهل الحشر جميعا وأمرهم بالسجود .. سجد المؤمنون .. ووقف الكافرون حيارى لايدرون ماذا يفعلون .. لم يستطيعوا السجود ، وعرفت النار لمن كانت تحمى وتسعر .. ونصبت الملائكة الصراط .

كان الصراط جسرا ينتهي بالجنة .. وكان منصوبا فوق النار .. وكان هذا الجسر يبدو للمؤمنين جسرا يمكن عبوره برحمة الله، أما بالنسبة للكافرين فكان هذا الجسر شعرة ممدودة .

وقع أمر مدهش قبل أن يصدر الأمر إلى الخلائق أن يعبروا الصراط .. نادى المنادى أن أحضروا الموت ..

حضر حيوان أسود اللون يشبه الكبش وما هو بالكبش ..

أمر الصوت الجليل أن اذبحوا الموت ..

هوى الملائكة بأجنحة مثل سيوف البرق وذبحوا الموت.. سقط الموت على جنبه وبدأ يموت .. اختلج وهو يموت ثم لم يلبث أن تلاشى تماما ..

قال المنادى : هذا آخر عهدكم بالموت .. لم يعد هناك بعد الآن موت .. لقد مات الموت وأنشأناكم خلقا جديدا لاتعلمونه ، ولكنه خلق لايعرف الموت .

ليعبر الخلق الصراط الآن ... لم يكد الأمر يصدر بعبور الصراط حتى اندفع المؤمنون نحو الجسر وتراجع الكافرون إلى الخلف .

تراجع مسرور فيمن تراجع ، كان يرتدى الآن ثيابا من قطران، لايعرف كيف وصلت إليه هذه الثياب وكيف ارتداها ، كل ما يعرفه أن الكلمات الأخيرة عن الموت كانت تدور داخل نفسه كرياح جحيمية مرعبة .. مامعنى هذا ..

مامعنى موت الموت ؟ إن رجاءه الأخير صار ينحصر فى أمنية

واحدة ، أن يموت، لقد انتظر أن يموت حين بدأ يوم القيامة ، وانتظر أن يموت طوال الحقبة الهائلة التى استغرقتها أحداث يوم القيامة ، ولكنه لم يمت ، وتمنى أن يموت والملائكة يحاسبونه ، وتمنى أن يموت حين وقف أمام الله محجوبا عنه ، فلم يكلمه الله ولم ينظر إليه ، ولقد أحس مسرور فى موقفه الأخير أن الموت صار أمنية مشتهاة ، ما معنى مايحدث الآن؟ لقد كان الموت هو الأمل الأخير الباقى لديه .. وبموت الموت مات الأمل ..

نظر إلى الصراط فشاهد ألسنة الجحيم تتصاعد من تحته ، مثل هوة جائعة تفتح فمها النارى بحثا عن طعام طال انتظارها له .

كانت نيران الجحيم تكاد تميز من الغيظ الآن، وكانت ألسنتها الجحيمية ترتعش خوفا من الجبار أن يعذبها إذا لم تعذب أهلها .. وانتقل خوف النار إلى قلب مسرور ..

حدث نفسه : إذا كانت النار ترتعش خوفا من عذاب الله إذا لم تعذبنا فكيف يكون عذاب الله لنا إن سقطنا فيها .. تأمل مسرور الصراط .. كان طويلا لا تبدو له نهاية، وكان عرضه مثل عرض الشعرة، ودفعه الملائكة فى الدفعة الأولى التى ستعبر الصراط ..

قال له أحد الملائكة : أنت فى فوج متميز جدا، معك فرعون موسى ومعك قارون وهامان .. ألست السيد الأعظم .. ألم يكن هذا اسمك فى الدنيا .. عليكم اللعنة جميعا، كيف جرؤتم على تحدى الله تعالى ؟

المكان .. العالم الآخر
الزمان الجديد فى بدايته ..
الخلق كله يقف أمام الله عارى الفكر والضمير ..
ثم يصدر الأمر الإلهى بدعوة إلى السجود ..

﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ ..

صدر الأمر بالسجود للمؤمن والكافر ..

لم يكد الأمر يصدر حتى سجد مقرور .. خر ساجدا ووضع جبهته على أرض العالم الآخر ..

أما مسرور فقد هزه الأمر الإلهى ولكنه ظل واقفا بلا سجود ..

تأمل مسرور المكان ..

إن ملايين البشر .. منذ أن خلق الله البشر إلى أن هلكوا جميعا وماتوا ثم بُعثوا .. وها هم يقفون أمام الخالق .. إن ملايين البشر قد انقسموا قسمين ..

قسم خر ساجدا للأمر الإلهى .. وقسم آخر ظل جامداً فى مكانه .. حاول أن يسجد ولكنه لم يستطع ..

إن الهول يغشاه إلى الحد الذى يعجز فيه عن الحركة .. وعاد بذهنه إلى الوراء .. إلى أيام الدنيا .. كان حرا فيها ، وكان يستطيع أن يسجد .. ولكنه لم يفعل .. وها هو اليوم فى موقف يريد فيه السجود ولا يستطيع ..

انتهى اختياره بمرور أيام الدنيا ..

لم يعد يستطيع أن يختار .. وبالتالى فقد ضاع ..

تسللت هذه الفكرة إلى عقله ببطء ، لقد انتهت أوراق الامتحان بأوراق الدنيا .. ورسب هو فى الامتحان ، وعاد يحاول السجود مرة أخرى لعل ساقيه تطاوعانه ولكنه لم يستطع ، وكانت هناك ملايين السيقان المتصلبة التى رفض أصحابها السجود فى الدنيا ، فحُرموا فى الآخرة من شرف السجود لله .. وكان هذا الحرمان هو الحجاب الأكبر لهم ..

وقف فرعون عاريا إلا من رداء الذل أمام موسى .. وبدأت محاكمته أمام قاض يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. كان قاضيه هو الله ..

وهو القاضى الذى يفصل فى جميع القضايا يوم القيامة ، ويفصل فيها بعلمه الشامل وقدرته سبحانه ..

قيل لفرعون : أنت متهم بادعاء الألوهية وإفساد الحياة بطغيانك .. مذنب أم غير مذنب ؟..

قال فرعون : غير مذنب .. إن ادعاء الألوهية كان من قبيل المجاز ، وكان من الأعراف المتفق عليها لإضفاء هيبة على الملوك ، أما إفساد الحياة بطغيانى فكان أمرا خارج إرادتى ، لأن الشعوب تتحول فى كثير من الأحيان إلى ما يشبه قطعان الماشية وتحتاج إلى حسم وصرامة ، وليس فى هذا طغيان ، وإنما هى مقتضيات الملك والحكم ..

كانت عقوبة التهمة الموجهة لفرعون هى الخلود فى النار ، وكان فرعون قد اختار كتابه من وراء ظهره ، وكان يُحاسب حسابا

عسيرا ، ولكنه فيما يبدو كان عاجزا عن تقدير موقفه ومعرفة المصير المروع الذى ينتظره ..

قيل لفرعون : أنت متهم بقتل الذكور من أطفال بنى إسرائيل واستحياء النساء .. مذنب أم غير مذنب ؟..

قال فرعون : غير مذنب .. إن قتل الذكور من بنى إسرائيل كان قرارا لمجلس الوزراء والمسئول عنه هو هامان ، وقد اطلعت عليه ولم أقرأه ، واكتفيت بسؤال هامان عن فحواه ، ولم ينبهنى هامان إلى وجه الخطأ فيه .. أما استحياء النساء فمسألة أسمع عنها للمرة الأولى ، وأنا على استعداد أن أجرى فيها تحقيقا فوريا ..

قيل لفرعون : أنت متهم بقهر المصريين وهم أمانة فى عنقك .. هل أنت مذنب أم غير مذنب ؟..

أصر فرعون على أنه غير مذنب ..

قال فرعون : غير مذنب .. إن تهمة قهر المصريين يصعب قبولها يمكن القول إننى كنت أربى المصريين .. إن الشعب المصرى لا يرضيه شئ ولا يعجبه العجب .. وهذا يستلزم بعضا من القسوة اللازمة للتربية .. لابد من هذا لكى يكون الموقف تحت السيطرة ..

قيل لفرعون : أنت متهم بقتل السحرة حين آمنوا بالله وسجدوا لرب العالمين .. ما قولك .. مذنب أم غير مذنب ؟..

قال فرعون : أنا غير مذنب .. وموضوع السحرة فيه لبس كثير .. لقد أفهمنى هامان أن هناك مؤامرة بين السحرة وموسى ، وأكدت أجهزة الاستخبارات والمباحث هذه الصلة التآمرية ، وكان القانون الذى أمثله أنا يقضى بصلبهم فى جذوع النخل .. وكل ما فعلناه أننا طبقنا القانون .. هذا كل ما حدث ..

سُئل فرعون : هل انتهيت من كلامك ؟ ..

قال : نعم .. وهنا صدر الأمر بالاستماع إلى شهادة هامان ..

قال هامان : لقد حاول فرعون أن يلصق بى الجرائم التى ارتكبها هو ، ولم نكن نحن غير أصداء لإرادته .. وأنا اشهد أن فرعون

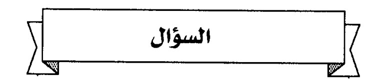
كاذب فى كل ما قاله .. وليس من الرجولة أن يلقى على أكتافنا بمسئولية أفعاله فى الظلم والقهر ..

صدر الأمر لفرعون أن يدافع عن نفسه ..

مضى فرعون يتحدث كان يلقى باللائمة على وزرائه وجنده وقادة جيشه .. أما هو فكان يصور نفسه كآخر من يعلم ..

انتهى فرعون من الدفاع عن نفسه .. وصدر الأمر بالاستماع إلى شهادة الجوارح ..

لم يكد فرعون ينتهى من دفاعه حتى سكت لسانه وتكلمت جوارحه ، نطق جلده ، ونطقت يداه وقدماه ، واعترف عقله وقلبه .. إنه كاذب فى كل ما يقوله .. وصدر الحكم أن يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار .. وبئس الورد المورود ..



السؤال

بعد أن حشر الله الناس جميعا .. قال للذين أشركوا :

- أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟!

السؤال موجه من الله عز وجل وهو ينطوى على استنكار وتحد .

بماذا تظن المشركين أجابوا على السؤال ..

ضع فى اعتبارك أن الله تبارك وتعالى هو الذى يوجه السؤال ..

ضع فى اعتبارك أن الله يعلم السر وأخفى .. ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ..

إن النص القرآنى يحدثنا عن الحوار القصير الذى دار بين الحق سبحانه وعباد جحدوا جلال الألوهية وأشركوا يقول الحق :

﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا .. أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون .. ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين .. انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ..

إن المشركين يكذبون فى حضرة الله .. وينفون عن أنفسهم تهمة الشرك .. إنهم يكذبون على أنفسهم أولا ، وهم يكذبون على الله

عز وجل بعد ذلك ..

كان مقرور يتابع ما يجرى حوله .. لقد اطمأن لمصيره فى الجنة ، وها هو يعاين صورة من صور سلوك المشركين كان أشد ما يدهشه غباء المشركين ..

إنهم لا يعرفون الصدق فى الدنيا ، ولا يعرفون الصدق فى الآخرة ، ثم يفاجأون ذات يوم أنهم يقفون على النار ..

كانوا ينكرون النار فى أيامهم الدنيوية .. وكانوا إذا ذكرت يضحكون كثيرا من تصديق المؤمنين لليوم الآخر وحسابه وعقابه .. وكانت النار بين ما لا يؤمنون به ..

اليوم .. يقفون على النار

انصرمت أيام الدنيا وضاعت ..

امتد العمر سبعين سنة أو أكثر .. ورغم هذا كله فإن الفترة تبدو كلها كما لو كانت ساعة من نهار ..

لقد مرت بسرعة البرق .. ومات البشر جميعا .. ثم بُعثوا من الموت وأوقفهم الجبار العظيم أمام النار ..

كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر والعالم الآخر والعقاب والحساب ، وبالتالى كان معنى هذا أنهم لا يصدقون وجود النار أصلا ..

ثم ها هم أولاء يقفون أمامها .. إن مشهد النار من المشاهد التى تلقى الرعب فى قلب أشجع القلوب ..

إن رؤية النار تدفعهم إلى رجاء يوجهونه لصاحب الأمر والحكم .. إنهم يقولون :

- يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ..

لقد كانوا فى الدنيا يسخرون من المؤمنين .. وها هم فى الآخرة يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا ويصدقوا آيات ربهم ويكونوا من المؤمنين ..

هذا معناه أنهم يطلبون فرصة أخرى من الله !!..

يريدون العودة إلى الدنيا لاحتضان الإيمان وعمل الصالحات ، ويطلبون دورا ثانيا فى الامتحان ..

....

....

....

الطلب مرفوض ..

إن الامتحان الذى انتهى وليس له دور ثان هو الحياة الدنيا كما أن القضية التى يحكم فيها الله لا استئناف لها ولا نقض .. لا عودة إلى الدنيا .. يحدثنا الله أنهم كاذبون ، ولو عادوا إلى الدنيا لعادوا لارتكاب جرائمهم ..

يقول الحق : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون .. وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ ..

هذه الآية الأخيرة هى لب القضية ومربط الفرس كما يقولون ..

لاحظ مقرور أن هناك عبارات تتردد فى أقوال الكافرين والمشركين والجاحدين وغيرهم .. من هذه العبارات :

﴿ رب ارجعنى أعمل صالحا ﴾ .. ومنها ..

﴿ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾ ..

وهى كلها عبارات تدور حول أمل الرجوع إلى الدنيا بعقل وقلب جديدين .. وإصلاح ما سبق أن أفسدناه ..

وكل هذه العبارات مرفوضة ..

لقد انتهت الدنيا وبادت ولم يعد الرجوع إليها ممكنا أو جائزا وجاءت الآخرة ..

كانت الدنيا أيام امتحان وابتلاء .. أما الآخرة فهى أيام جزاء وحساب .. انتهى الأمر ونحن الآن فى وقت الحساب .. أضف لهذه الحقيقة حقيقة أخرى يعلنها الله فى الرد على هذه العبارات .

إنه يعلن أن هؤلاء لو عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى سالف عهدهم فى الشرك والكفر ومعاداة الله وتكذيب رسله ..

يقول الحق : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ .

لقد كان هؤلاء لا يؤمنون بالبعث ..
كانوا يقولون :
﴿ إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ ..
وكانوا يقولون :
﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ ..
وكان الواحد منهم يقول :
﴿ من يحيى العظام وهى رميم ﴾ ..
ويقص علينا الحق رده على هذا القول بقوله سبحانه :
﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

يدور حول الشيطان حوار كثير فى العالم الآخر ...

إن كثيرا من الناس يلقى بمسئولية أفعاله على الشيطان .. ويبرر جرائمه بأنها من عمل الشيطان ...

وزاد بعض الناس على هذا فاعتبروا أن الشيطان هو الفاعل الأصلى لكل جرائمهم ، وأنه كان صاحب الفكرة ولم يكن الإنسان غير أداة فى يد الشيطان .. باختصار كان الجميع يلومون الشيطان وكان لابد من تصحيح لهذا كله .. وهو تصحيح يقتضى أن يتكلم الشيطان .. وقد فعل .

﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر .. إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، إنى كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ ..

هذا هو تصريح إبليس ...

ورغم كراهيتنا لإبليس .. رغم مقتنا له باعتباره عدوا للنوع

البشرى كله ...

رغم هذا كله نرى أن منطق الشيطان فى تصريحاته فى العالم الآخر هو منطق معقول .

إن إبليس ينفى عن نفسه القدرة على قهر أحد علي الشر .. إنه ينفى أن له سلطانا على الناس .. سوى سلطان التزيين والدعوة والاقتراح والتحريض ..

إنه يقدم الاقتراح .. ولكن البشر هم الذين يطورون الاقتراح ويقبلون به وينفذونه ويتفننون فيه .

والذين يلومون الشيطان ويحملونه تبعة جرائمهم ليسوا منصفين بالدرجة الأولى ..

إن الشيطان كان ابتلاء لآدم .. ومن بعده الجنس البشرى كله ، ولكنه ابتلاء لا يبلغ درجة القهر على الفعل وإذن يبقى الإنسان مسئولا عن خضوعه للشيطان ، وهو خضوع غير مبرر ولا تقبل به عدالة الآخرة ...

بلا ترجمان

قال رسول الله ﷺ :

- ليقفن أحدكم بين يدى الله تبارك وتعالى ، ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ، ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه ... فيقول الله ألم أنعم عليك .. ألم آتك مالا ؟

فيقول : نعم

فيقول الحق : ألم أرسل إليك رسولا ؟

فيقول : نعم

فيقول الحق :

يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ما عملت لى ؟

يا ابن آدم ما استحييت منى !! يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما إلى مالا يحل لك ؟ ألم أكن رقيبا على أذنيك وأنت تسمع بهما ما لا يحل لك ؟ ألم أكن رقيبا على لسانك وأنت تنطق بما لايحل لك ، ألم أكن رقيبا على يديك وأنت تبطش بهما ما لا يحل لك ؟ ألم أكن رقيبا على رجليك وأنت تمشى بهما إلى ما لا يحل ؟ ألم أكن

رقيبا على قلبك وأنت تهم بما لا يحل لك ؟

أم أنكرت قربى منك وقدرتى عليك ؟

قيلت هذه الكلمات لمسرور والله يحاسبه ، ولم يعرف ماذا يقول ردا عليها ... صمت لسانه وارتعد جسده من الخوف ، كان الله تعالى يناقشه فى تفصيلات حياته الدقيقة ..

كانت كل أعماله تقف ضده ، وعلى رأسها انعدام إيمانه وقتله للذين يأمرون بالقسط من الناس .. وعلى رأسهم مقرور ، قال الله تعالى لمسرور : ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ .. هذه تهمتك .. وهذا مكانك فى النار ، كان الموقف يختلف بالنسبة لمقرور ..

لقد مات دفاعا عن عقيدة التوحيد ، وأخذ كتابه بيمينه ، وبشره الله حين حاسبه ، ولم يكن الحساب حساباً ، إنما كان فى جوهره بشرى بالجنة ...

بين فرعون وهامان

كان مسرور يسير فى فوج الجبارين وهو فوج كان يُساق إلى النار وكان يتقدم الفوج فرعون وهامان وقارون .

قال فرعون لهامان : لقد ضيعتنا يا هامان بشهادتك فى محاكمتى .

ولست أعرف كيف تجرأت على مقامى واتهمتنى بالطغيان والكذب ، لم يرد هامان على فرعون .. كان عقله يهضم ما يجرى حوله فأيقن أن فرعون قد ضيعه إلى الأبد ...

أما فرعون فكان يمسك كتابه ويقلب فى أوراقه التى كانت تسجل كل شئ بالصوت والصورة .

وتوقف فرعون عند مشهد بينه وبين هامان .. مشهد من مشاهد الدنيا ...

....

....

قال فرعون لهامان : واضح أنك تحبنى ياهامان .

قال هامان وهو ينتفخ من فرط سعادته : الحب كلمة ليست معبرة

يا مولاى ... إننى أعبدك ياسيدى الفرعون .. أعبدك عبادة ...

قال فرعون : هذا جميل .. إنك تعيد إلى ثقتى يا هامان ، وهذه هى مهمة الوزير الأول للفرعون .. أن يعيد إلى إلهه الثقة .

قال هامان : إننى - وكل الشعب يا مولاى نستمد منك الثقة ..

قال فرعون : هل سمعت قصة الإله الذى يزعم موسى أنه فى السماوات ، كيف نصل إليه يا هامان ؟

قال هامان ، ليأمرنى الفرعون أن أبنى له صرحا يصل إلى السماء قال فرعون : ﴿ ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى .. وأنى لأظنه كاذبا ﴾ .

قال هامان : لا داعى لبناء الصرح يا مولاى .. موسى كاذب بالتأكيد : أغلق فرعون كتابه وعاد يوجه حديثه لهامان .

....

إن صورتك تتحدث فى كتاب الأعمال .. أنت من أقنعنى أن موسى ليس نبيا ، إنما هو ساحر تآمر مع السحرة ليهدموا ملكى .

قال هامان : دعنى يافرعون فى حالى ، انتهى الأمر بسلطانك وجاهك وملكك الحقير إلى النار .. ألا تفهم ما يجرى حولك .. ألا ترى المصير المخيف الذى ألقيتنا فيه ... لقد ضعنا بسببك أيها الغبى المتكبر ؟!

عندما يحكم الخوف

وقف طغاة الأرض أمام جبار السماوات والأرض ، وسُئلوا عن كل جرائمهم التى سجلتها كتبهم ..

﴿وقالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾

كان الطغاة والجبابرة يعلون فى الأرض ، ويستكبرون على المجتمعات والشعوب ويبدأون حياتهم بالذهب والسيف ..

الذهب لمن وافقهم ، والسيف لمن اعترض عليهم أو قاومهم أو تضرر منهم ، كانوا جميعا رغم اختلاف الألسنة والأردية والأمكنة .. يشتركون فى خصلة واحدة .. إنهم يحكمون شعوبهم بالخوف والإرهاب والترويع والقتل والسجون ..

ويكبر الطاغية حتى يبتلع شعبه كله فى جوفه ، لا يكون هناك رأى سوى رأيه هو ، ولا توجد إرادة سوى إرادته هو .

وينوب الطاغية عن الشعب كله فى الحركة والسكون واتخاذ القرار والتصرف فى الأمور ..

ويقف الطغاة يوم القيامة أمام الله ..

ويسألهم رب السماوات والأرض : لماذا أعدمتم إرادة الناس

ودمرتم حريتهم وهى أهم جزء فى كرامتهم كبشر ؟! .

وتتوالى الأسئلة عليهم .. ويطول حسابهم وتتوالى أكاذيبهم ومحاولاتهم للتنصل وإلقاء العبء على غيرهم من الأعوان والأجهزة ... وأدوات القمع ... أما الأكاذيب فتفلح فى الدنيا للخروج من المأزق ، ولكنها فى الآخرة لا تفلح فى شئ .

إن من يقضى بين البشر جميعا هو الله .. وهو وحده العليم بما فعله الطغاة ، وهو الوحيد الذى يعلم السر وما هو أخفى من السر .. لا فائدة إذن ولا أمل أمام الطغاة فى الكذب .. إنما يزيد كذبهم على الله مقتا لهم .. وخسارا عليهم .. وينتهى بهم الأمر إلى الجحيم حيث يُسحبون على وجوههم فى النار ، وهم مقيدون فى الأصفاد والسلاسل ...

تتميز أحياء الفقراء فى الدنيا بالصوت العالى والشجار المستمر .. والصراع الدائم والشتائم المنتقاة ..

أما أحياء الأغنياء فيغلب عليها طابع الهدوء والسلام ..

هذا ما يحدث فى الدنيا .. حيث تلعب النقود دورها فى هدوء الأغنياء وصراع الفقراء .

فى الآخرة يختلف الموقف .. إن النقود فى الدنيا كانت قادرة على شراء السلع والضمائر ، وكانت قادرة على إضفاء الهيبة والنفوذ على أصحابها .. أما فى الآخرة فليست هناك نقود فى الجنة .. النقود الموجودة كلها فى النار على شكل سبائك من الذهب .. أما مهمتها فى النار فهى أن تكوى جباه الكافرين وظهورهم .

يقول الحق ... ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب إليم ، يوم يُحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ماكنتم تكنزون ﴾ .

لاينقطع الصراع فى الجحيم ...

ولاينقطع تبادل الاتهامات .. إن الموجودين فى الجحيم ممن انتهى حسابهم ودخلوا قبل غيرهم يستقبلون من لم يدخل بعد بالكراهية والحقد .. يحدثنا الحق عن موقف المقيمين فى النار من الوافدين عليها فيقول «هذا فوج مقتحم معكم...

- لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار .

قالوا : بل أنتم لا مرحبا بكم .. أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار .

﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار ﴾ .

﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾

إن الخصام فى النار قائم على قدم وساق .. خصام بين الملوك الذين ادعوا الألوهية ووزرائهم وجنودهم ، وخصام بين الكبراء والسادة وأتباعهم من المستضعفين وخصام بين الإنسان ونفسه .. باختصار ليس فى الجحيم أى سلام من أى نوع .. إنما هى أحقاد تغلى فى مراجل الغضب والكراهية والتخاصم .

تقوم العلاقات فى الدنيا عادة على المصالح .. وهناك علاقات تقوم على الصداقة .. وأحياناً تكون الصداقة يداً تمتد إلى الإنسان بالعون ، وأحيانا تكون الصداقة طريقا يؤدى إلى ضياع الإنسان وهلاكه تأمل هذه الصورة التى يكشف القرآن الستار عنها .. إنها صورة تبدأ بظالم يعض على يديه ...

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا .. ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ ..

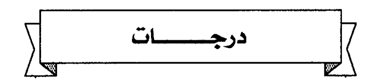
كان هذا الظالم يسير فى طريق الخير قبل أن يتخذ صديقا يحبه كان صديقه هذا لا يؤمن بشئ .. سوى اللحظة الحاضرة ، وكانت له فلسفة فى الحياة .. وهى فلسفة تقوم على اقتناص اللذة أينما كانت وحينما وجدت بغض النظر عن أى قيم أو أخلاق .

وكان وقت الصديق مشغولا بالنساء والخمر ومتع الحياة الدنيا المحرمة ، وتابع صاحبنا وكان مثل ظله .. ومرت أيام الدنيا وجاءت أيام الآخرة .. واكتشف صاحبه صاحبنا أنه قد ضل عن

الذكر ، ونسى أمانته كإنسان .. وأهدر إيمانه وانتهى به المطاف إلى الجحيم ...

صورة أخرى عكسية ...

بطلها هذه المرة من أهل الجنة ، إن مجموعة من أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إنى كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين ، أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال : هل أنتم مطلعون ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ... أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ .. إن الآيات الكريمة تقص حكاية صديقين ، أحدهما لا يصدق وجود البعث وقيامة الأموات وحسابهم ، وكاد صاحبه أن يطاوعه لولا نعمة الله عليه ، وعدم استجابته لهذا الصديق الملحد والمكذب الذى لم يفهم أن يوم القيامة من ضرورات عدل الله سبحانه ، وليس هناك شئ يصعب على الله ، ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ ...



درجـــــات

الجنة درجات وأنواع .. والجحيم كذلك درجات وأنواع .. هناك جنة عدن ، وهناك الفردوس الأعلى ، وهناك جنات لا ندرى عنها اليوم شيئا .

أقل هذه الجنات يزيد على أعظم جنات الدنيا وقصورها وحدائقها وأثاثها وملاهيها .

أما النار فهى درجات كما يحدثنا الحق سبحانه .. ومن بين هذه الدرجات المخيفة مكان يسمى سقر .. وهو مكان فى الجحيم توعد الله به المجرمين الكبار .. ومن زبائنه فرعون وهامان وقارون وأمثالهم من معاصرينا مثل هتلر وغيره من عتاولة المجرمين .

ومن الطبيعى على أهل الجنة - فى النعيم الذى يعيشون فيه - أن يتساءلوا عن أهل سقر .

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين ، فى جنات يتساءلون عن المجرمين : ما سلككم فى سقر قالوا : لم نك من المصلين (لا عبادة) ولم نك نطعم المسكين (بخل مع المساكين) وكنا نخوض مع الخائضين (دخلوا فى الإلحاد) ، وكنا نكذب بيوم الدين

(وصلوا إلى الكفر) حتى أتانا اليقين (حتى أتانا الموت) ﴾ .

....

....

من نجوم سقر رجل استدعته قريش ليقول رأيه فى كلام الله فقال إنه قول البشر ... قال تعالى :

﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد .. كلا .. إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعودا ، إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ ..

....

كان الوليد بن المغيرة هو بطل هذه الأحداث التى انتهت به إلى سقر .



كان مسرور يسير مع وفد كبار المجرمين نحو النار .. قلنا إنه يسير ولكن الحقيقة أنه كان يجر أقدامه جرا ، ولا يعرف كيف واتته القدرة على السير .. إن المفاجآت المتتالية صعقته تماما ، فلم يعد يدرى هل هو فى حلم ثقيل ؟ أم أن ما يجرى هو الواقع .

كانت أولى المفاجآت قيامه من الموت .. وكان لا يصدق البعث أصلا .. وكان له رأى فى الموضوع ، وحين بلغ علمه أن هناك من يدعو لديانة تقوم على التوحيد والبعث ضحك طويلا حتى كاد يسقط من فوق كرسيه .. وتحدث عن المقابر والعظام البالية التى تتحول إلى التراب .. وتساءل كيف تعود إلى الحياة بعد أن صارت ترابا يتطاير فى الهواء ..

وكانت ثانية المفاجآت هذا الكتاب الذى تلقاه من وراء ظهره وهو كتاب يصور حياته - بالصوت والصورة - منذ بلوغه سن التكليف حتى اللحظة التى خر فيها ميتا ...

وكانت ثالثة المفاجآت هذه المحاكمة التى عقدها له الله وحكم عليه فيها بالخلود فى النار .. وها هم يسيرون فى طريقهم لتنفيذ

الحكم .. تحت حراسة من الملائكة الصامتين ..

ثم خرج أحد الملائكة عن صمته وقال وهو يشير إلى باب ضخم ومتسع .. هذا أكبر أبواب جهنم .. إن لها سبعة أبواب هذا أوسعهم .. وهذا الباب يقود إلى النار الكبرى وهى نار من يصلاها لا يموت فيها ولا يحيا ..

فكر مسرور وخوفه يتزايد فى معنى كلمات الملاك ...

إنه يعرف أن هناك صورتين للوجود .. صورة الحياة وصورة الموت .. ولكن الملاك يتحدث عن صورة جديدة لا موت فيها ولا حياة .. كيف تكون هذه الصورة .. وأى رعب يستدعيه وجودها .. مجرد وجودها ...

وصلوا إلى الباب فانفتح الباب وحده ، وتسلمهم أحد الملائكة قال لهم الملاك : ألم يأتكم رسل يحذرونكم من لقاء يومكم هذا .

لم يرد عليه أحد .. حاولوا الرد ولكن الصوت احتبس فى حلوقهم وفكر مسرور وهو يسترق النظر حوله إنه لابد أن يهرب من هذا المكان وقطع الملاك حديثه وقال ساخراً ، إن مسرور يفكر فى الهرب نحن نقرأ أفكاركم وهى تولد فى أذهانكم .. والهرب من هذا المكان مستحيل .. لقد وصلتم إلى سقر أيها السادة ..!!

مرحبا بكم فى سقر !!

أفكار المجرمين

صمت الملاك الذى استقبل أكابر المجرمين فى البشرية ، صمت ليستوعب الجمع كلماته ثم عاد يقول :

انظروا جيدا للعالم الخارجى هذه آخر مرة ترونه فيها ، سوف تشغلكم سقر عن كل شئ ، حتى عن أسمائكم .. هنا ستنسون أسماءكم وأمجادكم فى عالم الجريمة ، وهنا ينتقم الله من فسادكم فى الأرض وتلويثكم لجو الحياة الإنسانية ..

كانت تهديدات الملاك تدور فى عقل مسرور فتجرف أمامها كل آماله وتغرقه فى لون من ألوان اليأس القاتم .. وكذلك كان جمع المجرمين الكبار ، كان شعورهم مزيجا من اليأس والندم ..

وفكر مسرور فى الأيام القديمة الطيبة ، أيام الحياة الدنيا .. حيث كان يفعل ما يريد دون أن يتعرض له أحد أو يراجعه أحد .. كانت أياما حلوة ، ولكن نهايتها جاءت مفاجأة صاعقة .. وعاد يتأمل المكان حوله لعله يجد فيه بابا أو نافذة أو أى فراغ يمكن الهرب من خلاله فلم يجد .. وأسقط فى يده واستسلم ..

أما فرعون فكان حقده يتجمع فى صدره ضد هامان .. فكر

فرعون أن كل مآسيه ومصائبه جاءته بسبب هامان .. لقد خدعه هامان ، كان يسجد له فاعتقد أنه إله ، وأفهمه أن موسى ساحر فمضى يرددها ومن ورائه الناس جميعا ، وحين سجد السحرة لرب موسى وهارون أفهمه هامان أنها مؤامرة ضد أمن الدولة ، وعولجت القضية على هذا الأساس ، وكان يمكن لو تلقى فرعون معلومات صحيحة أن يكون له موقف مختلف ، وتمنى فرعون أن يخنق هامان بيديه أو يطعنه بسكين فى قلبه .

أما قارون فكان يفكر فى كنوزه .. أين ذهبت .. لقد أقنعته كنوزه فى الحياة الدنيا أن الناس لا تستطيع أن تقاوم الذهب أو الجواهر ، وكان قارون يؤمن فى الدنيا بأن كل إنسان له ثمن ، المهم أن تعرف أنت الثمن المناسب ، وتقدمه فى الوقت المناسب ، ماذا لو حاول رشوة الملائكة وافتدى نفسه بكنوزه .. كانت مشكلته أنه لايعرف أين ذهبت كنوزه ، شاهدها قبل أن يخسف الله بداره الأرض .. فأين هى الآن ؟! كانت مشكلة قارون أنه لا يعرف أين ذهبت كنوزه !!

كان الملاك يسير صامتا .. وكان قادرا على قراءة أفكار الفوج الذى يسير فى طريقه نحو سقر ..

كان من أعيان هذا الفوج الملك الذى حاج إبراهيم فى ربه ، كان الملك يفكر فى لقائه بإبراهيم كنقطة فاصلة فى حياته .. وهذه النقطة هى السبب فى أنه يقف الآن وسط وفد كبار المجرمين الذى يسوقه الملائكة نحو الجحيم .. وكما أن الوفد يضم شخصيات متميزة فى عالم الجريمة والضلال فلهذا يُساقون نحو نار متميزة هى سقر ...

فكر الملك فى موقفه فى الدنيا .. لقد كان يدعى الألوهية ، ثم سمع أن إبراهيم يدعو لإله واحد .. وهو رب البشر جميعاً .. واستدعاه الملك ..

قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت .. قال الملك أنا أحيى وأميت وفكر الملك وهو فى طريقه للجحيم .. إنه كان صورة للحمق والغباء بهذا الرد .. فقد قال إبراهيم ردا على رده :

﴿ فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾

يذكر الملك كيف بُهت يومئذ .. وكيف سقطت حجته وبان عوارها ، وبرغم ذلك ظل مصرا على كبريائه وادعاء الألوهية .. لقد كشفه سيدنا إبراهيم ولكنه عاند وكابر ، ولم بستمع لصوت العقل ، وظل خاضعا لداء الكبرياء والغرور .. وها هى النتيجة تنتهى به فى الجحيم .. باختصار فكر الملك فى أنه هو الخاسر فى الموضوع كله ، لقد حكم عشرين عاما كملك ، ثم أصابه مرض أودى به إلى القبر .. هل تساوى العشرون سنة هذا الخلود فى النار .. إن الندم يأكل قلبه .. وتتعاظم دهشته من غبائه فى الدنيا ، ولا أمل فى إصلاح شئ اليوم .

انتهى الزمن الذى كان الإصلاح فيه ممكنا .. هكذا كان يفكر الملك ، أما الوليد بن المغيرة ، وكان فى فوج الأكابر ، فكان يفكر فيما وقع له فى الدنيا ، لقد استعانت به قريش لكى يقول رأيه فى بعض آيات القرآن ، وكان السؤال المحدد هل هذه الآيات من صنع البشر أم كلام الله تعالى ، وجامل الوليد كفار مكة . وأفتى بأن هذا سحر من صنع البشر ، وكانت هذه الفتوى ترضيهم عنه كل الرضا ، وها هو اليوم يقف مع وفد المجرمين الكبار على أبواب الجحيم فى سقر. بسبب فتواه ...

رشوة قارون

كان قارون مترددا بين حالين ، أن يسأل الملاك أين ذهبت كنوزه وثروته ، أو يؤجل السؤال حين يدخلون سقر ..

وقرأ الملاك أفكاره ، واقترب منه وهو يقول : أنت قلق على كنوزك .. تريد أن تعرف أين ذهبت .. إنها لم تضع ، إنها جميعا موجودة فى سقر .. يُحمى عليها فى نار جهنم ، وتنتظرك لكى تكوى جبهتك وجبينك وظهرك كل يوم ..

قال قارون : لم أكن أريدها لنفسى ، إنما كنت أفكر فى إهدائها للملائكة من باب الإعجاب بهم والنيات الحسنة عموما ..

قال الملاك : أنا لم أضحك منذ خُلقت النار ، ولولا هذا لأضحكنى ما تقوله .. إن الملائكة لا تقبل الهدايا فضلا عن الرشوة ، وأنت تبدو مضحكا باقتراحك الهزيل ويبدو لى أنك مازلت تعيش بأفكارك فى الحياة الدنيا حيث كنت تشترى كل شئ ابتداء من النفوذ وانتهاء بضمائر البشر .

على أى حال ، لا نريد أن نضيع الوقت فى كلام يقع بين لو وليت .. لقد حان الوقت أن أحدثكم عن سقر ..

يقول الله تبارك وتعالى فى شأنها : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى .. ثم لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ ..

هذه النار الكبرى هى سقر ، وهى نار لا تُبقى ولا تذر ، وهى لواحة للبشر .. عليها تسعة عشر ملكا من الملائكة ، أما خازن النار فهو مالك ..

حين نزلت هذه الآيات على كفار مكة أثارت عاصفة من الضحك وراح كفار مكة يسخرون من عدد ملائكة الجحيم .. وقال قائلهم : تسعة عشر ملكا .. كم يكفينا من فرسان مكة وصناديدها لكى يهزموا هؤلاء الملائكة ..

وكان هذا الموقف نابعا من الجهل بحقيقة هذه النار الكبرى ، وحقيقة الملائكة فى الوقت نفسه .. فهذه النار لا تشبع مهما يُلقى فيها ، كما أن الملائكة لا يُهزمون ، فهم يستمدون قوتهم من الله تعالى مباشرة ..

انتهى الملك من حديثه وقال :

– أحسب أن أوان تقديم سقر لاستقبالكم قد حان .. ليرتفع الحجاب عن النار ، فقد جاء أصحابها ..

ارتفع الحجاب عن النار .. كانت النار تكاد تميز من الغيظ . كانت ألسنة اللهب فيها ترتفع وتلتوى وتحوم حول واحد من أكابر المجرمين الواقفين .. ثم تحمله حملا لأحضانها حيث يغيب فى أحشائها ...

إن الأصل فى نار الدنيا أنها محايدة .. لا تقصد أحدا بعينه ، ويمكن إطفاؤها بالماء أو المواد المختصة بذلك .. أما نار الآخرة فليست كذلك .. إنها نار ليست محايدة .. إنما هى منحازة لخالقها وهى سعيدة كل السعادة إن أتيحت لها فرصة عقاب المجرمين ، وهى لا ترتوى ولا تشبع .. ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .. ﴾ أيضا تختلف نار الجحيم فى الآخرة عن نار الدنيا فى أنها لا تنطفئ ، لقد اشتعلت هذه النار بأمر من الله تعالى وهى لاتنطفئ إلا بأمر منه سبحانه ..

بعد دقائق من رفع الحجاب عن النار ، اختفى فوج المجرمين الكبار .. انتقل من مكانه الذى يقف فيه إلى قلب النار .. خرجت من النار ألسنة من اللهب كانت تحمل الملحدين والكفار والمشركين والطغاة حملا وتلقيهم فى قلبها وهى تقول : ذوقوا مس سقر ...

وارتفع الصراخ المفزوع من مجرمى الأمس .. كما كان صراخ ضحاياهم يرتفع فى الدنيا فلا يرق له قلب واحد فيهم .

من خصائص النار الكبرى ، أن من يدخلها لا يموت فيها ولا يحيا ..

إن جلد الإنسان فى الدنيا إذا احترق مات الإنسان على الفور بعد عذاب أليم ، أما جلد الإنسان فى الآخرة إذا احترق فهو يؤدى إلى عذاب أليم ، ولكنه لا يؤدى إلى الموت .. ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ .. يخلق الله الإنسان بطبيعة مختلفة عن طبيعته فى الدنيا ، إن الموت يموت يوم القيامة ، ويُخلق البشر جميعا للخلود .. يُخلقون غير قابلين للموت ، ومن هنا فإن نعيم أهل الجنة يبدو بلا نهاية ، كما أن عذاب أصحاب النار يبدو بلا نهاية ...

نظام الحياة فى الجحيم لا يحتمل .

وهو فى النار الكبرى أو سقر أقسى وأكبر من أن يحتمل ...

لأنه ليس حياة وليس موتا فيه راحة الموت ...

إنما هو عذاب من نوع لا تتركه يحيا ، ولا تدعه يموت .. إنما هو عذاب لايتوقف ولا يفتر ولا يخف عن المعذبين ...

استمع لقوله تعالى :

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزى كل كفور ﴾ .

يوما بعد يوم ...

يتحول الموت من مصيبة إلى حلم وأمل ورغبة مشتهاة ..

إن المريض الذى يتعذب يرتاح فى الموت .. أما مرضى سقر فهم لا يعرفون الموت . إن الموت بالنسبة لما هم فيه ترف لا يحلمون به .

قال الشاعر العربي فى الحياة الدنيا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا .... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

إن بيت المتنبى هذا يرسم صورة لأهل سقر ، وهى صورة لم يرها

المتنبى ولكنه بإلهام الشاعر وحدسه وقدرته على رؤية ما لا يرى ، قد نجح فى الوصول إليها ...

ويجتمع أهل سقر ويقررون تقديم التماس إلى خازن النار والمسئول عنها وهو مالك .

لقد قرروا بعد طول تردد أن يقدموا هذا الالتماس ...

أما التماسهم فهو طلب الموت .

إنهم ينادون على مالك ويرجونه أن يبلغ الله بطلبهم هذا يحدثنا القرآن عن هذا فيقول :

﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك .. قال إنكم ماكثون ﴾

كان الالتماس طويلا وجاء الرد قصيرا .. لقد تحدثوا طويلا قبل تقديم الالتماس .. وقالوا كلاما كثيرا يبررون به طلبهم ، ولكن مالك لا يرد عليهم إلا بكلمتين احتقارا لهم ..

قال : إنكم ماكثون ..

....

....

صفة طعامهم

الطعام فى الدنيا عند الخلق جميعا متعة .

يستوى فى ذلك الإنسان والحيوان والطير ... ولكن الطعام فى الآخرة عند أصحاب النار عذاب أليم .

مثلما أن هناك حياة وليست هناك حياة ، فكذلك هناك طعام وليس هناك طعام ، إنه لا يسمن ولا يغنى من جوع .

بمعنى أن الطعام الموجود عقاب وليس غذاء .

إن الطبق الأول الذى يُقدم فى الجحيم هو طبق الزقوم .. والزقوم شجر شديد المرارة .. وشديد البشاعة فى الوقت نفسه .. يقول تعالى فى طعام أهل النار ﴿ ثم إنكم - أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ، هذا نزلهم يوم الدين ﴾ .

أرأيت كيف أن طعامهم يساوى منزلتهم تماما ، وقديما فى الحياة الدنيا كانت كلاب الملوك تأكل أفضل من شعوبهم ، وقديما تحدث الشاعر العربى عن هذا الموقف فقال :

تموت الأسد فى الغابات جوعاً ... ولحم الضان تأكله الكلاب

إذا تركنا طبق الزقوم وطلبنا طبقا آخر فوجئنا أن الطبق الجديد من غسلين .. واسمه وحده يكفى للنفور منه ، ولكن طعمه رهيب وأثره فى الأمعاء أرهب وأخطر ...

إن الطعام يحرق الحلق والمرئ قبل أن يصل إلى المعدة والأمعاء ، وهو يحرق كل شئ ويدمر كل شئ ، وينبع منه عذاب لا أحد يدرى هوله وشدته ...

أما الماء فلا وجود له فى الجحيم ، استمع لقوله تعالى :

﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ، أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ..

....

مقرور فى الجنة

أخذ مقرور كتابه بيمينه ...

لم يستغرق حسابه من الله كثيرا .. لقد مات مقرور فى الدنيا بسبب عقيدته ، كان على ديانة التوحيد ، وكان يؤمن باليوم الآخر ، ولكنه - بعقله البشرى - لم يكن يعلم أن الله بهذه القدرة ، وأن اليوم الآخر بهذا الجلال الذى يستحيل وصفه .. كانت الدهشة هى الشعور الغالب عليه .

سار مقرور ثم استوقفه رجل شديد الأناقة وسأله بأدب جم .

- أنت مقرور ..

قال : نعم .. لماذا ؟

قال الرجل : أنا المسئول عن الخدم فى قصرك .. وقد جئت أصحبك لمكانك فى الجنة .. إن معى سيارة من سياراتك ، فهل نركب فيها أم تفضل الطائرة ..

استمع مقرور لكلام الرجل فلم يفهم منه شيئا ، لم تكن السيارات أو الطائرات قد اخترعت فى عصره ، وتساءل عما يعنيه الرجل بكلماته فقال له - هذه أدوات للنقل - إن لديك عددا من

السيارات والطائرات الخاصة ، ولك قصور فى الريف وقصر يطل على البحر ولديك يخت للنزهات البحرية .. وكل ماتشتهيه أو تشتهى وجوده سوف يمثل بين يديك بمجرد طلبك له ..

قال مقرور : ما الذى فعلته لأستحق كل هذا التكريم .

قال الرجل : كلمة حق قلتها عند سلطان جائر .. هذا ما فعلته ياسيدى ، وقد دفعت حياتك ثمنا لصراحتك ،.. قتلك السلطان الجائر .. كان الله يسمع ويرى ، وقد رضى عنك فصرت من أصحاب الجنة .. كيف تحب أن نذهب .

قال مقرور : نذهب سيرا على الأقدام لو أذنت .

قال الرجل : الإذن بيدك وأنا طوع إشارتك .

سار الرجل وسار معه مقرور .. كانا يسيران فى حدائق لم يشهد مقرور مثيلا لها من قبل .. سواء فى نباتاتها أو أشجارها أو جداولها وسأل مقرور : ماهذا ؟

قال دليله : هذه حديقة أقل من حدائقك التى نسير نحوها الآن.

للألوان إيحاءاتها وأسرارها ..

هناك لون يوحي بالبرودة ، ولون يوحي بالسخونة ، وهناك لون يوحي بالمغامرة والرهبة كلون البحر الأزرق .. وهناك لون يوحي بالاستقرار والراحة مثل لون الحدائق الخضراء .

ونحن نعرف أن الألوان في الدنيا هي ألوان الطيف السبعة أما في حدائق الآخرة فثمة ألوان لا نعرفها ، وهي ألوان توحي للإنسان بالثقة والسلام الداخلي والفرح ..

تخيل الربيع في حديقة من أجمل حدائق الدنيا والزهور تولد على أغصانها فرحا بقدوم الربيع .

تخيل حديقة أشجارها تنوء بثمارها المدهشة .. أتظن أن هذا يشبه أشجار الجنة ؟ تخطئ لو ظننت ذلك .

إن أشجار الجنة وحدائقها وجداولها وأنهارها ينطبق عليها قول الرسول ﷺ حين قال :

« فيها ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر »

هذا يعنى أن كل تخيلاتنا عن الجنة ستظل قاصرة فى التعبير عن حقيقة الجنة ...

وقع مقرور أسير الدهشة .. أحس بأن إعجابه يتجاوز حدود الإعجاب إلى حد الانبهار .. ومن ثم فقد راح يتلفت حوله وهو يسير ، وكلما نقل عينيه بين مجموعة من الأشجار أو الزهور زاد إعجابه وتعاظمت دهشته .. قال فى نفسه :

– سبحانه من خلق هذا الجمال كله .

قال الدليل الذى يصاحبه – هذا أفضل ما يقال فى هذا المجال زادت دهشة مقرور ، لم يكن قد رفع صوته بحديثه ، إنما كان هذا حديث نفس يمضى فى عقله بلا صوت .. كيف عرف الدليل ما يفكر فيه وأحس الدليل بحيرته فقال :

– من بين قدراتى أن أقرأ أفكارك .. وأن أعرف رغباتك .. أخيرا وصلنا إلى مكانك فى الجنة ...

وقف الدليل أمام بوابة ضخمة عليها لافتة من الذهب باسم مقرور .

قال مقرور : هذا اسمى .

قال الدليل : هذا قصرك وبعض أملاكك فى الجنة .

انفتح الباب عن مشهد وقف مقرور أمامه مبهورا

إنها حديقة ناعمة تمتد طويلا وفى نهايتها قصر يبدو من فرط جماله مثل خيال الشعراء ..

سار الدليل أمامه وسار مقرور خلفه وهو يتلفت حوله ، شاهد أشجارا لم يرها من قبل .. وزهورا لم يشهدها فى الدنيا قط .. وثمارا لا يعرف أسماءها ، وعاين ثمارا تشبه ثمار الدنيا ولكن طعمها يختلف تماما عن مذاق الثمار الدنيوية ..

واقتربا من القصر ..

راح مقرور يتأمل عمارة القصر مذهولا .. لم ير قبل ذلك فى حياته على الأرض مثل هذا القصر ..

كان ينتظرهما عند باب القصر مجموعة من الولدان المخلدين ،

ووقف هؤلاء صفين مر من بينهما مقرور .. وانحنوا له وهو يسير وراء دليله ، ومضى هو يحييهم دون أن يعرفهم ،ثم مال على دليله وسأله بصوت هامس : من هؤلاء ؟ قال الدليل : هؤلاء فى خدمتك سيطوفون عليك بالشراب ، ويقدمون إليك الطعام ..

وفكر مقرور فى بؤسه أيام الحياة الدنيا .. كان يسكن فى كهف من كهوف الجبل ، وقد صنع له بابا كان يسنده بقطعة من الحجر ، وكانت الرياح فى ليالى الشتاء الباردة تزيح الحجر عن الباب فيدخل الشتاء بكل أمطاره وبرده ورياحه .

ابتسم الدليل وهو يقرأ أفكاره ، وأشار بيده إلى شرفة واسعة فانتقلا إليها .. كان المشهد الذى تطل عليه بالغ الجمال والروعة .. إن أنهارا تجرى أمام القصر ..

قال الدليل : تأمل هذه الأنهار التى تجرى فى أرضك .. إن فيها نهرا من اللبن .. ونهرا من العسل .. ونهرا من الخمر .. وهى خمر لا تشبه الخمر التى عرفتها الدنيا .. وكذلك العسل واللبن .

أنهار من اللبن

سأل مقرور دليله : كم غرفة فى هذا القصر .

قال الدليل : ثلاثين غرفة .

قال مقرور وهو يضحك : كيف أعيش وحدى فى كل هذه الغرف لماذا كل هذه الغرف ؟

قال الدليل: يقول ربنا سبحانه ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ﴾

قال مقرور : إننى يمكن أن أتوه فى هذه الغرف .. بل إننى يمكن أن أحس بالخوف وأنا أعيش وحدى فيها ..

قال الدليل : لن تتوه ولن تخاف . لست وحدك فى القصر .

قال مقرور : لكننى وحدى كما ترى .

قال الدليل : أنت لم تر الحور العين بعد ، إذا التقيت بهن ، وظل رأيك أن القصر واسع عليك فما عليك إلا أن تأمر مسئول المعمار أن يجعل القصر ثلاث غرف أو يجعله غرفتين ، وسينفذ أمرك فى لحظات .. ماذا تريد أن ترى .

قال مقرور : أريد أن أرى أنهار اللبن والعسل والخمر .. هل

طعمها مثل طعم هذه الأشربة فى الدنيا ..

قال الدليل : دعنا نذهب هناك لكى تجرب بنفسك .

سارا نحو أنهار اللبن والعسل والخمر .. نظر مقرور إلى اللبن وهو يتدفق ويمضى فى أرضه .. كان اللبن فى بياض الشمس صباح ليلة القدر ، أما العسل فكان فى لون الذهب البندقى الأحمر ، أما الخمر فكانت ألوانها تتعاقب عليها فلم يعرف أى لون هو الغالب فيها ..

أراد غمس أصبعه فى النهر لكى يرى أى مذاق يكون له ، ولكن واحدا من الولدان المخلدون سبقه بكأس ملأ نصفها من النهر وقدمها لمقرور ، شرب مقرور من نهر اللبن فأحس أنه لم يذق فى حياته طعما بهذه الحلاوة .. كان الطعم طعم اللبن ولم يكن المذاق مذاق اللبن ، واشتدت حيرته فقال له الدليل : كان اللبن فى الحياة الدنيا يخرج من بين فرث ودم ، وهذه آية من الله ، ولكن اللبن فى الآخرة من صنع الله مباشرة ، وهذه آية أكبر ..

وطالت وقفة مقرور أمام الأنهار الثلاثة ، وعاد دليله يقول له . هناك من ينتظرك فى القصر .. فلا تطل انتظاره .

أحس مقرور من قلق دليله أنه يريد أن يمضى ، ولكن مشهد الأنهار الثلاثة كان أجمل من أن يدعه ينصرف .

كان يحس بعطش ، لم يكد يشرب كأس اللبن حتى أحس أنه يتغير ، تغيرت داخله أشياء .. أرتوى فجأة بحياة من لون جديد ..

إن حواسه القديمة تبدو له الآن شاحبة ومضببة وغائمة ، كان يرى فى الدنيا ، ولكن رؤيته اليوم تختلف .. وكان يحس فى الدنيا ويتذوق ، ولكن إحساسه وقدرته على التذوق الآن يعمقان ويتسعان .. والتفت إلى دليله وقال له :

- هناك شئ ما فى اللبن ، إننى أحس بقوة الشباب وعافيته .

قال دليله : لقد عدت إلى الشباب .

بسط الدليل يده بمرآة لمقرور - انظر إلى نفسك .. نظر مقرور فلم ير وجهه المألوف الذى يعرفه ، كان وجهه يعكس فى الدنيا ملامح رجل مشفق أو مطارد ، وكان القلق فى الدنيا يرسم خيوط التجاعيد حول عينيه وخديه .. ولكنه يرى الآن صورة جديدة له

صورة استدعتها طمأنينة البال ونضرة النعيم التى تعرفها الوجوه المؤمنة ..

عاد الدليل يستحثه على العودة إلى القصر .. قال له :

- هناك من ينتظرك فى القصر ..

سأل مقرور : من الذى ينتظرنى .. لم أكن أعرف ناسا كثيرين .

قال الدليل : ينتظرك أهلك ...

قال مقرور وهو يضحك : أنا بلا أهل .. كانوا يقولون عنى إننى مقطوع من شجرة .. لا أعرف أقارب لى ولا أعرف أهلا يقفون جوارى .

قال الدليل : أنت تتحدث عن أيام الدنيا .. مازلت أسير الحياة الدنيا .. أنت الآن فى الآخرة .. فى عالم يختلف عن دنياكم كل الاختلاف لن تمضى عليك فترة هنا حتى تنسى الدنيا وتخرج من إسارها .

فكر مقرور برهة ثم قال : معك حق .. مازلت أنتمى بالفكر إلى الحياة الدنيا .. من قلت إنه ينتظرنى فى القصر ..

قال الدليل : ينتظرك أهلك .. وهم عطية من الله لك .

أتحدث عن الحور العين ....

وصل مقرور ودليله إلي القصر ، وراح الدليل يشرح له غرف القصر وما فيها من أثاث وتحف .. ثم جاء على جناح فى القصر وقال لمقرور : لا أستطيع أن أكون دليلك فى هذا الجناح .. فهذا جناح لزوجتك أو زوجاتك من الحور العين ... ولا أحد يخترق هذا المجال باستثناء صاحب القصر ..

كان مقرور يستمع وقلقه يتزايد .. لقد كان المعروف عنه فى الدنيا أنه لا يجيد الحديث مع النساء ، ويدركه فى حضورهن إحساس غامض بالخوف .. ولم يكن يعرف كيف ينتقى عباراته بحيث تصب فى باب الإعجاب بهن ، ويكسب بذلك ودهن . من هنا كان يحس بالقلق من لقائه بمن وصفها الدليل بأنها زوجة من الحور العين ..

وتصور بينه وبين نفسه أنه قد لا يعجبها وربما لا يثير اهتمامها وربما نجح فى إثارة نفورها ...

كانت هذه الأفكار تراوده وهو يصعد السلالم فى طريقه إلى لقاء الحورية ..

وقف أخيرا أمام الباب ونقر عليه نقرا خفيفا ثم فتح الباب ودخل .. لم يكد يدخل حتى وقف أمام المشهد مصعوقا من الدهشة ، لم يكن الجمال الذى يشاهده جمالا ينتمى للأرض ...

كان وجودها فى المكان والزمان يضئ المكان والزمان معا ، ولم يعرف ماذا يقول لها ..

وتحركت هى لتقول : لماذا تأخرت كثيرا ؟

مرحبا بك فى أهل الجنة على أى حال ، أنت لا تعرف مقدار شوقى إليك .. لقد انتظرتك آلاف السنين .. وكنت أعرف أن يوم لقائنا يقترب ..

تأملها وهى تتحدث ..

وقرأت أفكاره فقالت له :

هل ترانى جميلة .. أترانى كفوا لك .

قال مقرور بل أراك أكبر مما استحق ..

قالت : لا تفكر بعقل الدنيا .. إن الله راض عنك وأنا هدية الرضا الإلهى لك ..

قال مقرور وهو يتأمل جمالها : سبحانك اللهم ...

عاين مقرور بنفسه نعيم المؤمنين فى الجنة ، وكان أعلى ما فيه من الناحية المادية ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ ..

كان مجرد وجود هذه الحورية الخجول الواسعة العينين فى حياة مقرور كافيا ليغير إحساسه بالوجود وبنفسه .

فى لحظة من لحظات الصفاء حدث مقرور زوجته بما يحدث له من مشاعر نفسية .. قال لها :

إننى أزداد حمدا لله كل برهة ، فقد منحنى القدرة على بث الحب واستقباله ، وكنت قد نسيت الحب منذ أمد طويل .

قالت الحورية : أنت لم تنس الحب منذ أمد طويل ، إنما كانت حياتك فى ظلال الإيمان قصة حب متصل .. إن العبادة فى جوهرها حب والدين فى حقيقته الواقعة حب ، والإيمان فى نهاية الأمر هو حب لله ودعوة الناس إلى التوحيد هى قمة الحب للناس ، وليست الجنة سوى دار يلتقى فيها عشاق الذات الإلهية ..

كيف تقول إنك نسيت الحب ؟!..

تأمل مقرور كلمات الحورية وأحس بأن كلماتها تنزل بردا

وسلاما على قلبه .. كانت قدرتها على الحب تضفى على المكان روحا من سلام النفس والطمأنينة الراضية ، وهذا الجو الوردى المعطر الذى يصنعه الحب ..

وعاش مقرور يتأمل ما حوله ويستمتع ببديع ما أعده الله لعباده المؤمنين ..

فى البداية خيل إليه أن أرض الجنة من الفضة الخالصة ، ثم لاحظ أن ترابها مسك أذفر وزعفران .. أو هكذا بدا له ، ثم اتضح له أن الشكل يشبه المسك ولكنه فى حقيقته أجمل كثيرا من المسك .. وكذلك كان كل شئ فى الجنة ..

إن صورته الخارجية تختلف عن حقيقته الداخلية .. ولقد كانت هذه الحقيقة أبدع كثيرا من الشكل الخارجى .. على أن أكثر ما أدهشه فى الجنة كان هواؤها ونورها ، مثل ربيع حب لا يعرف سوى الفرح ..

كان هو هواؤها أما نورها فلم يكن هو ضوء الشمس ولا نور القمر ولا ضياء المصابيح التى عرفها فى عصره ، وحدث الحورية فى ذلك فابتسمت وقالت ليس فى الجنة شمس ولا زمهرير ، فقد بادت الشمس وتغيرت الفصول ، أما نور الجنة فقوله تعالى :

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ ...

اكتسب مقرور عادات جديدة فى الجنة .

إنه يبدأ صباحه بالسباحة فى حمام السباحة الداخلى ، ثم يركب الخيل ويجرى بها ساعة وسط حدائقه الممتدة ، ثم يعود ليفطر ويسترخى فى حمام السباحة الخارجى بينما تؤنس وحدته الحورية بأحاديثها التى لا يشبع منها ...

لكنه فى هذا اليوم بالتحديد .. سار بفرسه طويلا ، ثم اكتشف أنه دخل أرضا ليست أرضه .. وحاول الرجوع إلى الطريق الذى جاء منه فلم يستطيع ، وبينما هو حائر لا يعرف ماذا يفعل .. ظهر صاحب الأرض ، وكان يقوم برياضة الصباح فى أرضه .. لم يكد يراه حتى رحب به قائلاً :

- مرحبا بالضيف الكريم .. من أى أرض فى الجنة أنت ؟

قال مقرور : وهو ينزل عن حصانه - أنا من الضفة الأخرى من النهر ، وتصافحا ، وسأل مقرور - من يكون مضيفنا الكريم .. ؟

قال مضيفه : أنا مصرى عاش فى عصر موسى وفرعون ، وكان لى موقف من فرعون ، هذا الموقف هو السبب بعد رحمة الله فى

دخولى الجنة .. دعنا نذهب إلى قصرى القريب من هنا لنتحدث .
وصلا إلى القصر وجلسا فى حدائقه يتجاذبان أطراف الحديث ..
أحس مقرور بالفضول فسأله : حدثنى عن قصتك ..
ناوله المضيف كتابه وقال : افتح الصفحة السابعة والسبعين ستری ما أقصده ، فتح مقرور الصفحة فإذا شريط بالصوت والصورة لاجتماع مهم يجرى فى قصر فرعون ..
الاجتماع يضم فرعون وهامان ومجموعة من رجال الدولة المهمين يومئذ فى مصر ..
فرعون يتحدث ﴿ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ﴾
وافق الحاضرون جميعا على الاقتراح باستثناء رجل من آل فرعون ، وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : ﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟ ﴾
انطوت الصفحة وقال مضيف مقرور .. هذا الرجل المؤمن من آل فرعون هو الجالس أمامك .. وهذا هو الموقف الذى أدخلنى الجنة .

صداقة جديدة

انعقدت الصداقة بين مقرور وقريب فرعون المؤمن .. بعد دقائق من تعارفهما ، كانا يتبادلان الحديث والضحك .. وكان الرجل المؤمن من آل فرعون خفيف الظل حاضر البديهة ، كما كان عميق الثقافة .. قد درس أحوال الشعوب والبشر واستخرج منها عبرة التاريخ .

استمع مقرور لقصته مع فرعون حين قال لقومه ﴿ ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ﴾ واستمع لما قاله الرجل المؤمن من آل فرعون .

سأل مقرور صديقه الجديد :

ماذا قال فرعون بعد أن استمع لما قلته ؟

ضحك الرجل المؤمن وقال : نظر إلى فرعون بغضب بالغ وقال ﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أليست هذه نفس الكلمة التى يقولها الطغاة فى كل مكان وزمان .

كان موضوع الحديث فرعون ، ثم تطرق الحديث إلى مسرور ، وحكى مقرور ما كان من أمره معه .. وكيف كان يسمى نفسه السيد الأعظم ، وكيف قهر الناس على عبادته ، مثلما فعل

فرعون حين نادى أنا ربكم الأعلى .. واستمر الصديقان يتحدثان .. قال قريب الفرعون المؤمن : لقد وصل سحرة الفرعون منذ أيام .. وهم يسكنون قصورا قريبة من هنا .. وأود كثيرا أن أقدمك إليهم ، وأنا واثق أنك سترتاح لصحبتهم .

تساءل مقرور : أى سحرة .

قال المصرى المؤمن : آه ... يبدو أنك عشت فى عصر قبل عصرنا ، هؤلاء سحرة جمعهم فرعون لموسى ليبطلوا سحره ، فسجدوا لرب موسى وهارون ، وقتلهم فرعون وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل .. تأمل الصورة الظاهرة والحقيقة الباطنة لقد قتلهم ومزقهم قطعا ، هذه هى الصورة الظاهرة ، أما الحقيقة الباطنة فهى أنه أدخلهم الجنة .. ودخل هو الجحيم بأعوانه ووزرائه وقادة جنده .. وكان يتصور نفسه أذكى الأذكياء .

فكر مقرور فى كلمات المصرى وقال له : معك حق ، إن ما يميز الطغاة جميعا هو الغباء والصلف ، إنهم يحطمون كل شئ ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

ترى ماذا يفعل هؤلاء فى الجحيم .. كيف يصبرون على نارها التى لا تنطفئ .. قال المصرى المؤمن .. دعنا نراهم بلا شماتة .. أنظر .

نظر مقرور إلى الشاشة التى أشار إليها المصرى المؤمن ، فإذا بالشاشة تضئ على فرعون ومسرور ، وهما يتقلبان مع غيرهما من أكابر المجرمين فى قاع الجحيم ...

كان فرعون لا يموت ولايعيش .. وكان مسرور يهذى بكلام كثير لا معنى له سوى أنه محاولة للخروج من العذاب ..

كانت النار تشتعل فى ملابسه القطرانية ، وتشتعل فى جلده ، وتحرق دمه وأعصابه فيصرخ ، ثم تمتد النار إلى عظامه فيئن ويزداد صراخه ، ثم تأتى النار على كل شئ فيحس أنه يموت .. ما أشد عذاب هذا الإحساس لكل سكان الجحيم ..

تجئ عليهم فترات يحسون فيها أنهم يموتون ، ولكنهم يكتشفون أن هذا إحساس كاذب ..

إنهم لا يموتون .. لقد مات الموت وانتهى أمره ، وهذا يعنى بالنسبة إليهم أن العذاب مستمر بلا انقطاع .

إنهم يفاجأون بأن جلدهم يعود من جديد . وأن لحمهم وعظامهم وأعصابهم تعود للحياة من جديد .. وهكذا يبدأ العذاب مرة أخرى

ويمضى فى دورته بإحساس أشد وترويع أقسى ...

كان الذهب الذى يكنزه قارون فى حياته حاضرا معه فى الجحيم، إنه يتحول هنا إلى سلاسل ضخمة وطويلة يُحمى عليها فى النار ثم يُقيد بهذه السلاسل التى تنصهر على جسده فتكوى جنبيه وتحرق جبينه وظهره وصدره .. ويعاود الصراخ ولكن أحدا لا يلتفت إليه ولا يحنو عليه ولا يسأله لماذا يصرخ كل هذا الصراخ ؟ .. ولماذا يقول إنه نادم تائب ؟ وإنه يريد فرصة أخرى .

كان أصحاب النار يتأرجحون وسط أتون النار مثل قردة اشتعلت النار فى أجسادها فراحت تقفز بحثا عن بحيرة أو جدول أو نهر تلقى بنفسها فيه ، ولا بحر هناك ولا بحيرة ..

قال مقرور للمصرى :

لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم لا شماتة .

قال المصرى قريب الفرعون : مشهد تقشعر له الجلود .. على أى حال ، هذا عدل الله المطلق فيهم .. لقد ضيعوا الحياة وأفسدوها على الخلق .

كانت هناك مشكلة صغيرة تتراءى لمقرور ، وهى مشكلة تتمثل فى سؤال بسيط : لو افترضنا أنه يريد أن يهدى إلى الحورية الجميلة زوجته خاتما أو عقدا فمن أين له النقود لشراء هذه الهدية ، ومن أين يأتى بها لو توافر له المال .

خجل مقرور أن يحدث عنها مسئول القصر ، فحدث عنها صديقه الرجل المؤمن من آل فرعون ...

قال له: استدع مسئول القصر وسوف ترى ماذا يفعل .

قال مقرور لمسئول القصر .

- أريد أن أهدى شيئا لزوجتى ..

قال المسئول سمعا وطاعة .. ثم قدم لمقرور مفتاحا لغرفة الهدايا ، وصحبه إليها حيث أزاح صورة زيتية من الحائط فإذا وراءها خزينة متسعة .. فتح الخزينة فإذا هو أمام هدايا تصلح للرجال وهدايا تصلح للنساء ..

كانت الهدايا من الألماس والياقوت والزبرجد .. وكان ينطبق عليها الحديث القائل «ما لا عين رآت ولا أذن سمعت ، ولا خطر

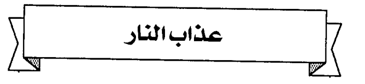
على قلب بشر »

سأل مقرور : من أين لنا ثمن هذه الهدايا .. قال المسئول - يبدو أن سيدى مازال يفكر بعقل الدنيا .. هذه الهدايا ملكك ، وأنت حر تتصرف فيها كما تشاء . وتهديها لمن تشاء .

اختار مقرور عقدا من الألماس وتاجا من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر .. وتوجه إلى زوجته ..

قال لها : جئتك بهديه .. قالت له : أنت هديتى الكبرى .. أخرج الجواهر من جيبه فتألقت الجواهر واشتعل الألماس من داخله بمئات الألوان .. واقترب مقرور منها ووضع الألماس على عنقها ، ووضع التاج على رأسها ، ولكن الألماس خبا بجوار بهائها وجمالها وكف عن اشتعاله الداخلى ، كما أن الياقوت والزبرجد انخسفا بجوار لون بشرتها ولون عينيها ..

وقال مقرور فى نفسه : سبحان الله .. كيف يهدى المرء شيئا لكل هذا الجمال .. ألم يكن من الأفضل أن يهدى إليها وردة .



تُفتح أبواب النار كلما انتهى الله من حساب مجموعة من الإنس والجن الكافرين ، فإذا دخلوها انطبقت عليهم أبواب العذاب وعادة يبدأ الصراع بين الذين يدخلون النار فى الأفواج الأخيرة والذين يدخلونها فى الأفواج الأولى ...

وهذا هو الصراع بين الضعفاء والمستكبرين ﴿ واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار .. قال الذين استكبروا إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد ﴾ ، هذا مشهد يتكرر فى النار ، كلما دخلها فوج جديد .. إن الفوج الجديد من المستضعفين يقول للأفواج التى سبقته .. لقد كنا نتبعكم .. كنا بمثابة الخدم الذين يؤمرون فينفذون .. ألا تحملون عنا نصيبا من النار اليوم .. تحملونها بدلا منا .. لقد كنا نسير وراءكم ونطيعكم فى معصية الخالق ...

يوجه هذا الكلام للمستكبرين .. ولكن هؤلاء ليسوا فى حالة يمكنهم فيها الأخذ والرد .. والجدال والصراع ، إنهم يضيقون صدرا بكلام الضعفاء ، إنهم يعلنون أنهم جميعا قد وصلوا إلى النار ،

فأى معنى إذن لهذا الكلام الفارغ الذى يحلم بأن يحمل أحد من أهل النار نصيب غيره فيها ..

وهناك مشهد آخر يتكرر فى النار .

إن أهل النار يقولون لخزنة جهنم :

﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ﴾ ماذا كان جواب حراس النار .. ﴿ قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾

وهكذا تُسد أبواب الأمل .. ويزداد لهيب النار ، والأصل فى نار الدنيا أنها تأكل نفسها ثم تنطفئ .. أما نار الآخرة فتزداد توهجا كلما أكلت من هم أولى بها صليا .. ويستمر العذاب .. خلود ولا موت ، وعذاب بلا زوال ، ودوام للحريق فلا روح ولا راحة ، أحزان لا تنقضى ، وهموم لا تنفد ، وسُقم لا يبرأ ، وأوجاع لا تشفى ، وقيود لا تُحل ، وأغلال لا تفك ، وعطش لا يرتوون بعده ، وكرب لا يستريحون منه .. وجوع لا يشبعون فيه ورغبة فى النجاة ولا نجاة ...

هذه طبيعة نار العالم الآخر ..

أحلام فى الجنة

كان مقرور يجلس هذه المرة فى حدائق بيته مع المصرى المؤمن من آل فرعون ، وكانا يتحدثان عن نعيم الجنة وسلامها ...

قال المصرى المؤمن : الإنسان هو الكائن الذى لا حدود لآماله وأحلامه ، أى أن أحلامه وآماله بلا نهاية .. وليس هناك مجال لهذه الآمال سوى الجنة ، لأنها خلود بلا نهاية .. فهى وحدها المجال الأصيل لتحقيق الآمال ..

ما هى آمالك يامقرور ؟

فكر مقرور برهة ثم قال : سوف أصدقك القول ، إننى أسير حيرة لا تخلو من العذوبة ، إن ذهنى يموج بالآف الأحلام والأمنيات ولكننى لا أعرف بأيها أبدأ .. ما هى أحلامك أنت ؟!

قال المصرى المؤمن : أول أحلامى أن أرى نبى الله موسى ، لقد كان من أولى العزم من الأنبياء .. وكان كليم الله تعالى ، وقد كان لى شرف الدفاع عنه ، ومقاومة فكرة قتله التى خرج بها علينا فرعون ذات صباح ، أيضا أريد أن أرى النبى الكريم الذى جاءت قصتى فى الكتاب الذى أنزله عليه الله ، وهو كتاب يحمل اسم

القرآن الكريم .. بعد رسول الله العربى محمد بن عبدالله ﷺ ..
أريد أن أرى نوحا وأحلم برؤية عيسى ، كما أتمنى رؤية إبراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام .. إن لقاء الأنبياء والاستماع إليهم متعة لاتساويها فى المجد أى متعة أخرى ...

بعد أولى العزم أريد أن أرى جميع الأنبياء .. وأريد أن أرى الشخصيات البارزة فى التاريخ البشرى .

تصور صلاتنا وراء هؤلاء الأنبياء جميعا .. أنت تعرف أن جميع الأنبياء بعثوا برسالة واحدة ..

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ هذا ما يقوله جميع الأنبياء .. تختلف شرائعهم ولكن جوهر التوحيد واحد ، مثلما أن الله واحد أحد .. ستجد كتبا فى مكتبتك ، وسترى فيها قصص الأنبياء ومصارع الطغاة ..

ستجد فى مكتبتك كل الكتب التى أنزلها الله على رسله ستقرؤها كما أنزلت قبل تحريف معانيها ، أو كلماتها .. ماذا قلت يا مقرور ؟

قال مقرور : سأذهب معك إن شاء الله ..

فى الجنة نعيم لا نهاية لآفاقه ، ولا شطآن لبحوره ..

إن أصحاب الجنة لا يعرفون الغل والحسد والكراهية .. ولكنهم يعرفون الحب البشرى كما يعرفون الحب الإلهى .

وأصحاب الجنة لا يستخدمون النقود فى حياتهم ، وبرغم ذلك فإن كل ما يشتاقون إليه ، وكل ما يرغبون فيه ، يتحقق بمجرد اتجاه المشيئة نحوه ﴿ لهم فيها ماتشتهى أنفسهم ﴾ ولدى الله تعالى مزيد ..

وقد اشترى الله تبارك وتعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة .. وهى صفقة كان الرابح فيها هو الإنسان وكانت هذه مشيئة رب العرش الكريم .. ولا يدخل الجنة أحد بعمله .. لأن عظمة الجنة أكبر من أى عمل ، إنما يدخلها الناس برحمة الرحمن الرحيم ...

يتحدث القرآن الكريم عن عباد الله المخلصين فى الجنة فيقول : ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة

للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون ﴾ ، هذا الوصف للنعيم المادى ، يقابله أكثر من إشارة إلى نعيم نفسى ومعنوى يتمثل فى القرب من الله .

يقول الرسول ﷺ عن الجنة « إن فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ... وهذا يعنى تعجيز الخيال البشرى عن الخوض فيها وإيفائها حقها من الفضل .

برغم عظمة الجنة ، فإن هناك ما هو أعظم منها ..

إذا انتهى دخول الكافرين فى النار ، وانتهى دخول المؤمنين الجنة، يرفع الحق حجابه ويتجلى على عباده ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ويخر عباد الرحمن سجدا ، فيقول لهم الله - ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود ..

ياعبادى ما دعوتكم إلا لتنعموا بمشاهدتى هل بقى لكم شئ بعد هذا ، فيقولون يا ربنا وأى شئ بقى لنا وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا آيات كرمك وأريتنا وجهك الكريم ؟..

فيقول الحق : نعم ... بقى لكم شئ فيقولون ياربنا وماذاك الذى بقى لنا فيقول : بقى لكم دوام رضائى عنكم فلا أسخط عليكم أبدا .

فهرس الكتاب

مقدمة الطبعة الأولى ٧
مقدمة الطبعة الثانية ٩
قصة مسرور و مقرور ١١
العشاء الأخير ١٣
المأدبة ١٥
حوار ١٧
مؤامرة ١٩
الحكم ٢١
صلاة ٢٣
قبض ٢٥
تحقيق ٢٧
اعتراف ٢٩
رؤيا ٣١
موت مسرور ٣٣
موت مقرور ٣٥
حساب مسرور ٣٧
حساب مقرور ٣٩
فناء و... .... ٤١

قيامة الموتى ٤٣
انفجار البحر ٤٥
نسف الجبال ٤٧
حشر الوحوش ٤٩
اللحظات الأخيرة ٥١
فرار ٥٣
ظهور الملائكة ٥٥
نسي فنسي ٥٧
وأشرقت الأرض ٥٩
اقرأ كتابك ٦١
محاكمة مسرور ٦٣
أخيرا ٦٥
قل يا عبد ٦٧
الصراط ٦٩
دعوة إلى السجود ٧١
محاكم الطغاة ٧٣
محاكمة فرعون ٧٥
السؤال ٧٧

لب القضية ٧٩
رب اجعلني ٨١
وقال الشيطان ٨٣
بلا ترجمان ٨٥
بين فرعون وهامان ٨٧
عندما يحكم الخوف ٨٩
تخاصم أهل النار ٩١
صداقة مهلكة ٩٣
درجات ٩٥
النار الكبرى ٩٧
أفكار المجرمين ٩٩
كيف ضاعوا ١٠١
رشوة قارون ١٠٣
فى قلب سقر ١٠٥
ونادوا يا مالك ١٠٧
صفة طعامهم ١٠٩
مغرور والجنة ١١١
انبهار بالألوان ١١٣

قصر فى الجنة ١١٥
أنهار من اللبن ١١٧
تحولات ١١٩
الحور العين ١٢١
قصة حب ١٢٣
موقف المصرى ١٢٥
صداقة جديدة ١٢٧
فرعون ومسرور ١٢٩
نعيم الجنة ١٣١
عذاب النار ١٣٣
أحلام فى الجنة ١٣٥
قمة النعيم ١٣٧

رقم الإيداع ٣٣٠٣ / ٢٠٠١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١